مَا اسْتَطَعْتُ

عَنِ

التربيَة والمجتمع

عَلي محمَّد العِيسَى

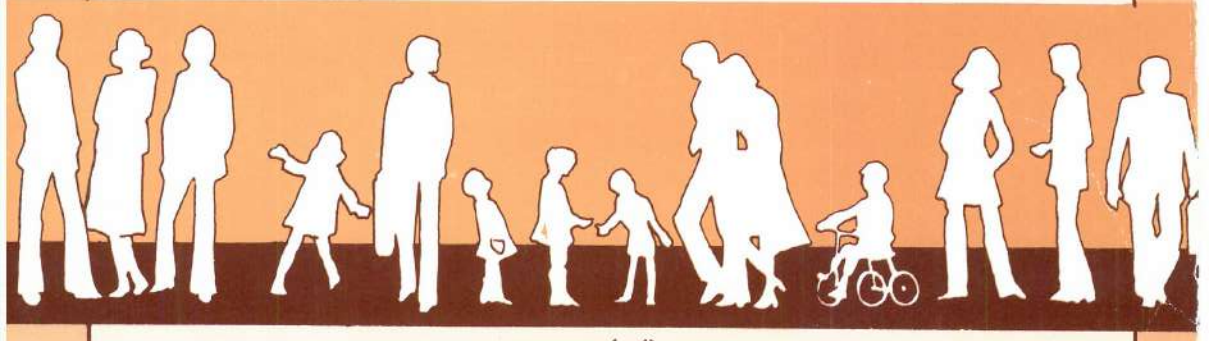

دار العلوم
للطباعة والنشر
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

حقوق الطباعة والنشر
لكل ما كتبت شعراً ونثراً
مشاعة لمن يريد
نفعاً للشيء والمجتمع.

1446 هـ
2025 م

بسم الله الرحمن الرحيم

أما قبل .. وأما بعد

المثاقفة تبادل المعارف والمعلومات الفكرية والأدبية شعرية ونثرية، وهي هنا في مجالات التربية ومجالات المجتمع، بكل أبعاد التطور والرقي والازدهار، ,, وكل يغني على ليلاه ,, ووسائل التواصل المتعددة اخترت الآن لمبرات اخترت الـ PDF لدوافع ومواقع لسهولة المواصلات.

وانتقيت من أتوسم فيهم كنخبة الأخذ برفده بيد المجتمع وناشئته إلى ما تصبو إليه الريادة الرائدة.

ولأني بلا اختيال ولا احتيال، ولا أزكي نفسي على الله - واسع الرفد، رحب الصدر، أقدّر عذر المعتذر فأرحب به يقول لي: شكرا، وعذرا لا أرغب في استمرار إرسال المواد الثقافية إليّ، لسبب بسيط، هو أنه ليس لديّ وقت فراغ، فحرصاً على وقتي وصولي وهوايتي، وحرصا على وقتك وجهدك - أفي علي - لا داعي للاستمرار في إرسال ما ترسله إليّ، مع التحية.

وشكرا من قلب محب، وسأتوقف برضا تام.

وشاكرا - من قبلي - على الأريحية، وروح الأخوة النقية

مع التحية من
علي العمري

بسم الله الرحمن الرحيم

1447
2025

إيضاح .. يمنحني مزيداً من الارتياح

مؤلفاتي المتواضعة، نفدت - غالبا - من مكتبات البيع، والبديل عندي لتصل إلى الباحثين والدارسين والقارئين أنه أدونها في ملفات الـ PDF لتصل - ما أمكن - إلى من قد يجد لها نفعا للتربية والمجتمع والفكر والشعر، ريثما يتاح ولمن يتبنى نشرها.

وقد أخذت الكتب تسلسلا من 31 إلى 50 في PDF.

وهي لمن يرغب في الاطلاع والقراءة والمناقشة والحوار الذي غالبا ما يولد ثمرة من نتائج مفيدة في القبول والرفض.

• والحوار جادة للحياة بالعبارة إلى الرقي والازدهار ونقي الحضارة، بعد الوقوف المتعمق في مختلف السلبيات والإيجابيات. التي تقيم مفاهيم الحضارات.

والله الموفق لخير العمل وحمل الخير ما

• وكتبه يا على حمد العيسى، لتأخذ فكرة ومعلومات عن المؤلف.

مع تحيات
علي العيسى

عَلي محمَّد العِيسى

مَا اسْتَطَعْت

عَن

المجْتمع والتربيَة

دار العلوم
للطباعة والنشر
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

© جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة
لدار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب. ١٠٥٠
هاتف: ٤٧٧٧١٢١، ٤٧٧١٩٥٢
الرياض ـ المملكة العربية السعودية

١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م

المحتويات

الموضوع	الصفحة
السلام عليكم «مقدمة»	٧
خواطر في التربية (١)	٩
خواطر في التربية (٢)	١٣
خواطر في التربية (٣)	١٥
خواطر في التربية والصحافة	١٩
خواطر في التربية «والتلفزيون»	٢٣
الدكتوراة والمناخ	٢٧
لغة الضاد... بين العاشق والطارق	٣٥
العمل تربية إنسانية	٣٩
بحث في اللغة	٤٥
المرأة ... تربي نفسها ومجتمعها	٥٣
الصدق تحت الدرس	٥٧
الدكتوراه .. آه	٦٩
التربية ... مسؤولية من؟	٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

هذه الموضوعات التي تجمعت بين دفَّتي كتاب ليست تربوية اجتماعية فقط، وإنما هي أيضاً اجتماتاريخية، فهي تعطي فكرة عما يدور في ذهن أحد أبناء هذه الفترة وتبدي انطباعاته عما حوله، وهي تسلط الضوء على قضايا المجتمع في هذه الحقبة، وقد تعين وأمثالها على سبر غور التاريخ ومحتوياته وما يتعلق به.

هذه الموضوعات تحوي مجموعة من الآراء والنظرات والنظريات التي لها مبررات ودوافع، والمؤمل من قارئها ومناقشها ــ إذا اعترض على جزئيات بها، أو خطأ من وجهة نظره في أحد جوانبها ــ ألاّ يعتبر كامل الموضوع مرفوضاً لمجرد الاعتراض على قسم منه.

واجتماع الناس على آراء موحدة في كل الأمور غير ممكن، لكن عندما يناقش المجتمع الأخطاء في ظل المحبة والمبادىء النزيهة فذلك سبيله إلى لقيا مع الصواب واصطحابه.

والله الموفق لما فيه الخير والصلاح والإصلاح.

علي العيسى

خواطر في التربية
(١)

إن أهم من في الميدان التعليمي هو المعلم بلا شك، لأن علّة الكتاب يعالجها المعلم. لكن عِلّة المعلم لا يعالجها الكتاب ولا غيره إلاَّ في حدود.

والمعلم يعرف متى تُقال الكلمة، ومتى يصرف النظر عنها، وهو الذي يُربّي بالسلوك أولاً وبالعلم ثانياً، وهو الذي يحسُّ سريعاً ويلمس جيداً نتائج أعماله فيصوب المستقبل على ضوء إدراكه لأخطاء الماضي.

وهو كالفلاح الذي يكدح وينصب على زرعه فإذا أثمر وأكل منه، وجد له طعمًا لا كالطعم الذي يتذوقه الآخرون، وإنما يتذوق طعمًا يعيد له نشاطه، ويذهب عنه إرهاقه، ويقوي عزيمته، ويبهج خاطره.

وكذلك المعلم المخلص فإنه يحس بإنتاجه ويعايشه، ويلمس آثاره، فيسر للناجح من أعماله ويزيده حماساً وعزماً وقوة. ويتألم للفاشل منها فيصمم على تلافيه ومحوه، والاستفادة من خبرته في سبيل الارتقاء والابتعاد عن الهبوط.

وهو يسعد ــ رغم تعبه ــ حينما يرى تلميذاً قال له بالأمس بأسلوب تربوي نفسي مؤثر: ذاكر دروسك، فجاء مذاكراً، أو: كُنْ نظيفاً، فحضر مقلّمًا أظافره، منظفاً ملابسه، أو أوجد من جاهل إنساناً يقرأ ويكتب

ويحسب، أو ساعد في إنماء ذوق التلميذ الفني أو الأدبي أو رفع مستواه وقدراته العلمية النظرية والعملية. أو وجده يسير مع شرذمة من السفلة فنصحه بأسلوبه التربوي وتوجيهه المباشر وغير المباشر بأن يقلع عن ذلك، معتمداً ــ بعد الله ــ على أن التلميذ سيجد في مدرِّسه القدوة الصالحة والنصح الأبوي الصادق، ثم وجده يبتعد عنهم، ويتصل بمحمد وأحمد الفاضلين، فيحس المعلم بأنه هدى نفساً إلى الخير، وقد تؤثر في تغيير مسالك جموع كبيرة في المستقبل إلى مناهج الفضيلة والهدى، والعكس بالعكس. ولو لم يتغير عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن مشيته العمرية إلى الزهد غير المترهبن لتغير وجه تاريخ حقبته وما أثرت فيه فيما بعد، وقد يكون الفضل في ذلك لمعلّم أو لمؤثر هو بالتالي معلم.

والتعليمات لا قيمة متكاملة لها، والكتب الدراسية لا تفيد كثيراً ــ وخاصة في المراحل الأولى من التعليم ــ إلاَّ بالمعلم الذي يطبقها ويبسطها ويوضح معانيها، ويرشد إلى فضائلها وأهدافها، ويصوب أخطاءها، ويستكمل ما نقص منها وما قد يكون بها من تقصير.

وهو الذي يوجهها توجيهاً حسناً فينبت زرعاً نافعاً، أو يسوقها سوقاً سيئاً ويستغلها استغلالاً مشيناً فيخرج هشيمًا تذروه الرياح.

وإذا كان الحاكم يتصرف في الحاضر فإن المعلم حاكم المستقبل يرسمه ويخطط لحياته وأهدافه، وهو إن شاء، أرسى سفن الفضيلة فيه، وأبعد طحالب الرذيلة عنه، وحارب الجريمة قبل وقوعها، وهو الذي يصوغ ــ بإذن الله ــ فكر وسلوك الطبيب والمهندس وخليفته المعلم والجندي والوزير والأمير والتاجر والموظف، كل هؤلاء هم كيان المجتمع وهو يؤثر فيهم تأثيراً بيِّناً لا جدال فيه.

فهل من شك في أن هذه الأمور تؤكد أنه أهم من في الميدان التعليمي والمحيط الاجتماعي، وهي تدعو إلى المضاعفة من تقدير المدرِّس

المربيِّ معنوياً واجتماعياً من الأبناء والآباء وغيرهم إلى أقصى حد ممكن لعله يوفى حقه الذي لا حدّ له ويستحث على مواصلة عطائه ومحبة مهنته، ولن يوفى المؤمن بالتضحية حقه، لكن من يضحي مخلصاً لا ينتظر إيفاء حقه اللا محدود لأن الجزاء عنده ثانوي، ونظرته لواجباته أكبر وأنفذ من نظرته إلى حقوقه، وهكذا الرواد. ولعلّ نظرته الرائدة إلى حقوقه وواجباتـه لا تجعلنا نتراخى في واجباتنا نحوه.

«الجزيرة»، العدد ٦٠٦، ٢١/٤/١٣٩٣ هـ.

□ مقتطفات:

قال صلى الله عليه وسلم: «إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان»، ص ٢٧٨.

وعن جابر بن زيد: أن رجلاً قال لحذيفة: يا أبا عبد الله ما النفاق؟ فقال: أن تتكلم بالإسلام ولا تعمل به»، ص ٢٧٩.

(من كتاب منهاج الصالحين لعز الدين بليق)

بسم الله الرحمن الرحيم

علي محمد العيسى

مَا اسْتَطَعْت

خواطر في التربية
(٢)

البعض يؤمن إيماناً كاملاً بأن على المعلم أن يعيش في برج عاجي بعيداً عن التلاميذ، وأن عليه أن يؤدي عمله متحفظاً محتفظاً بكل ملامح وسمات أصحاب البروج العاجية لأن ذلك أدعى إلى احترامه وتقديره، ويقولون: إن اختلاطه بالتلاميذ وانسجامه معهم ومعاشرته لهم ومبادلتهم الحديث الجدي أو الهزلي حتى لو كان هادفاً يؤثر على مقامه.

ويقولون: إن من يؤمنون بخلاف هذه النظرية في البلاد الأخرى، يجدون تلاميذاً ومجتمعاً تختلف طباعهم وموازينهم الأخلاقية عن تلاميذنا ومجتمعنا. إذ ربما يرى تلميذ هناك أن انسجام المدرِّس معه مقصود ليتعرف على نفسيته وميوله وطباعه وأحواله فيعامله بناء على نتائج ذلك بما يلائم ويعالج نفسيته ــ إن احتاج ــ عن معرفة ودراية، ثم ينعكس أثر هذا الإخلاص ومراعاة الفروق الفردية والظروف المحيطة المؤثرة من المدرِّس على نفسية التلميذ رضاً وتقديراً ومن ثم حباً لدروس المعلم وحرصاً عليها.

وقد يؤمن تلميذ هنا ــ ومن وحي مجتمعه ــ أن حديث المعلم وتبسطه مع تلاميذه دليل على فقدان مقومات المعلم المهاب المحتفظ باحترامه الذي يرهبه التلميذ فينصت اليه ويؤدي واجباته خوفاً منه، ودليل على هبوط في مستوى ذلك المعلم وسلوكه لأنه تعلم في البيت ألاّ يتحدث

إلاَّ مع مَنْ هو في سنّه، اللهم إلاَّ الحديث الجدي المحدود الذي يتضح فيه فارق السن.

لكن الأولى ونحن بصدد البحث عن الأفضل والأجدى أن ينزل المعلم المثالي من عليائه بدافع من تعاليم دينه ووطنيته، ومن ثقته في نزاهة سلوكه مبتعداً عن مواطن الشك والشبهة، ويعاشر الطلاب في المدرسة ويتعرف على أحوالهم ونفسياتهم، ويتبسط معهم دون ابتذال، ويعاملهم وفق ما يعرفه عنهم فيشجع المعتدل، ويوجه المنحرف، على أن يعرف متى يجد ومتى يهزل، وعلى أن يجعل لكلا الحالتين أهدافاً سامية، وحينذاك يصبح إقبال التلاميذ مكسوّاً بالتقدير والرغبة لا مكبّلاً بالخوف والرهبة، ومع حسن السلوك ستتلاشى نظرية لا تتحدث مع مَنْ هو أكبر منك سناً.

ولا ريب في أن المعلم غير المربيِّ كمن يعلِّم السباحة على الورق وهو لا يعرفها أو كالجندي الأعزل في المعركة.

يقول الشاعر:

وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى ... روح العدالة في الشباب ضئيلا
وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة ... جاءت على يده البصائر حولا
وإذا أتى الإرشاد من سبب الهوى ... ومن الغرور فسمِّه التضليلا

«الجزيرة»، العدد ٦٢٤، ١٣/٥/١٣٩٣ هـ.

خواطر في التربية
(٣)

لقد مرت بأرضنا الغالية عهود ظلام انحطَّت فيها العلوم، وتفرَّق القوم إلى شيع بعد أن كانت أمتنا الإسلامية في عصورها الذهبية تحمل مشعل العلم للأمم الأخرى وتنقل حضارة الفرس والروم والاغريق وتضيف إليها ما جدَّ من نظريات وتجارب تخدم البشرية وتهدف إلى خير الإنسانية، وقد كانت مبدعة خلاَّقة، أتت بجديد في الطب والفلسفة والهندسة والجغرافيا والفلك ومختلف العلوم، كما طورت الآداب والثقافة والفنون، ثم حلَّ بها ما حل، وضاع من كنوزها ما ضاع، وراحت تغط في سبات عميق مكّن أعداءها منها ردحاً من الزمن، إلى أن بدأت تفيق، وتأخذ سبيلها إلى تكامل يقظتها رغم عظيم العوائق وعديد العقبات.

وفي هذا العهد الزاهر سارت الدولة نحو استرداد مجدنا الغابر، ففتحت المدارس والمعاهد والكليات، وأصبح للتعليم شأن واهتمام وجزء من الدخل بعد أن أيقن ذوو الأمر بأن استعادة المجد مرهونة بشيئين: إسلام قوي، وقوة علمية. قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾، وقال سبحانه: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾، وقال أيضاً: ﴿وقل رب زدني علمًا﴾، كما قال جلَّ وعلا: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾. ومن الأحاديث الشريفة والآثار الحكيمة «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل

خير»، «من سلك طريقاً يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقاً من طرق الجنـة، والملائكـة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وأن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وأن العلماء ورثة الأنبياء، وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

«اطلب العلم من المهد إلى اللحد»، وفي الأثر: «اطلبوا العلم ولو في الصين».

وتصرف الفـاروق رضي الله عنـه مـع الذين يقضون جميع أوقاتهم في التعبد والاعتكاف ولا يعملون فيعيشون عالةً على مجتمعهم وأسرهم بلا عذر حيث قال كلمته المشهورة: «لا رهبانية في الإسلام»، فصرفهم عما هم عليه، وقوله لأحدهم: «أمَّت علينا ديننا أماتك الله» أو ما معناه. وقول عمرو بن العـاص رضي الله عـنه: «إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»، وغير ذلك من المواقف الإسلامية العديدة الموجهة خير توجيه والتي توحي وتؤكد أن تعاليم الإسلام لا تتعارض مع العمل والعلم والاكتشافات والاختراعات ولا تتنافى معها بل تدعو إليها وتحث عليها، لذلك ومما لا يخرج عن نطاق التمسك بالدين يجب أن يـوجه الآبـاء والمربـون والمجتمع أبنـاءهم إلى دراسة الرياضيات والكيمياء والجيولوجيا والفيزياء والأحياء والـطب والهندسـة وغيرها من علوم عصرنا هذا مع تمسك بالعقيدة الإسلامية ليجمعوا بين الحسنيين وتتضاعف حسناتهم، ويسيروا وفق إرشاد الدين القويم، وليدرك الشباب أن الإسلام دين ودنيا ودولة، علم وعمل وعبادة، حياة وموت وآخـرة، وليس دين روحانيـات فقط أو ماديـات فقط كبعض الأديان الأخرى.

ولقد تغيرت النظرة فمنذ زمن كان الرجعي المتخلف في نظر مجتمع

الجهل هو المتمسك بدينه، أما بعد انتشار العلم والأدب، وبعد أن كثر المثقفون، فإن المتمسكين بدينهم صاروا هم التقدميون، وغير المتمسكين هم الرجعيون لأنهم رجعوا إلى عهد ما قبل الإسلام، وتبعاً لهذا التغير في المفاهيم تغيرت النظرة فيما يتعلق بالشكل أيضاً، ففي الزمن الماضي القريب جداً كان المتمدن من يحلق لحيته، أما الآن فإن المتمدن هو الملتزم والملتزم مخبراً ومظهراً يطلق لحيته ويعتزّ بذلك بدون كبرياء ويلمس في الوجوه مشاعر التقدير والإخاء والمحبة. وما أجمل أن يعزز هذا التمسك الديني والخلقي بدراسة علمية مفيدة له ولمجتمعه ووطنه.

ولقد اتجهت بعض الأمم إلى علوم الطب والهندسة والاقتصاد والاختراعات محاولة سبق غيرها، مختصرة النهج إلى قمة الحضارة وآخر ما توصل إليه العلم لتبدأ منه أو تواصل مشوار البحث عن جديد يدعم قوتها ويضاعفها ويحميها، مقتنعة أن الأمم التي تركز في تعليمها على علوم الكلام كالآداب والتاريخ والفلسفة والاجتماع واللغات والفنون فقط سيكون سيرها في دروب التطور والارتقاء نظرياً وإعلامياً دعائياً ووئيداً، وستجد أن مسلكها بطيء الحركة إلى حد التوقف إذا ما قورن بتسابق الأمم الأخرى في مجالات العلم المختلفة في القرن العشرين.

ودولتنا الفتية سلكت سبلها بخطوات ثابتة واضعة أمامها ونصب عينيها أهدافاً سامية قاعدتها الحرص على العلم والقوة يدعمهما إسلام محمدي صادق وإيمان عميق ونهج قرآني قويم ولم يبق سوى تعاون الآباء والمربين وتفهمهم لدورهم وللأهداف في توجيه الأولاد الوجهة العلمية والفنية والتقنية الحديثة التي تثمر رجالاً يعملون في ميدان اختصاصهم ومجال خبرتهم، والدراسة والعمل عندما يستظلان بظل التعاليم الإسلامية السمحة يتحقق لكل فرد وللمجتمع ما قاله الشاعر في شطر بيته:

ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا

☐ مقتطفات:

قال الله تعالى: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون * وكان الله عليمًا حكيمًا﴾.
وقال تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين * إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس * وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين * أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين * ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾.

(صدق الله العظيم)

«الجزيرة»، العدد ٦٥٠، ١٤/٦/١٣٩٣ هـ.

خواطر
في التربية والصحافة

في عصر السرعة تتغير الأشياء بسرعة، والمرحلة التي ننشد الوصول إليها ما إن نصلها حتى نجد المتغيرات من حولها تستلزم الانتقال من مرحلة الوصول إلى مرحلة أخرى أكثر علواً وتقدماً وانسجاماً مع طبيعة العصر، هذا فيما لا يناقض المعتقدات الأساسية التي تميز شخصياتنا والتي بطبعها متجددة دون تغير، أي أن التغير يكون في الأسلوب والوسائل وما يؤثر به الجديد في الحياة.

ولذا، فإن بلوغ مرحلة عالية من النجاح والتقدم يجب ألا يوقفنا ظناً بأننا قد وصلنا، وأن علينا أن نستريح على أريكة النجاح، لأن ذلك يعني التوقف بينما الزمن يسير بسرعة من حولنا، وتوقفنا يصبح أشبه بالرجوع إلى الوراء، وأما النجاح الحقيقي فإنه يكون في العمل الدائب المتجدد الذي كلما حقق نجاحاً سعى إلى تحقيق ما هو أفضل منه على ألا يكون التغيير لمجرد التغيير أو لهدف مرجوح.

وصحافتنا حققت شيئاً من لا شيء يذكر، ولكنها بالمقارنة مع غيرها من صحف العالم البارزة، وبالزمن الذي تعيشه، ونمو البلد علمياً وثقافياً تحتاج إلى سرعة الانتقال من مرحلة واقعها إلى مرحلة أفضل، ولنسمها المرحلة التي تعتمد على الاختصاص والمختصين في مختلف الموضوعات

والأبحاث والدراسات بالإضافة إلى مستلزمات الصحافة الأخرى التي يعرفها الصحفيون أكثر من غيرهم.

ومن أهم الموضوعات التي تتطلب عناية لأهميتها وعلاقتها العامة بكل قارىء الموضوعات التربوية المتنوعة التي لم تحتل مكانتها في صحافتنا حتى الآن رغم حاجة التعليم في بلادنا النامية إليها، لتسهم في رفع المستوى التعليمي الذي هو أساس كل فروع التنمية المختلفة.

ومع أن بعض البلدان المتقدمة تقل حاجتها نسبياً إلى الموضوعات التربوية في الصحافة مقارنة بالدول النامية، إلا أنها اهتمت بالتربية كهدف أساسي من أهداف الصحافة ورسالتها الإنسانية ـ فضلاً عن المجلات التربوية المتخصصة ـ وجعلت لها أركاناً، كل ركن يختص بناحية كما جعلت للتربية وعلم النفس مركز بحث وموظفين مختصين، ولبعض الصحف «كالديلي تلقراف» مثلاً خبير تربوي تعرض عليه شؤون التربية والتعليم قبل نشرها، لأنها عندما تعرض على غير مختص سواء بالخبرة أو الدراسة أو هما معاً فقد لا يعرف أبعاد الأهداف فيعترض على ما يستحق النشر لأثره الجيد، ويوافق على نشر ما لا يستحق النشر لأثره الوخيم.

ومن الأركان التي يمكن الاهتمام بها:

١ ـ ركن شهري أو نصف شهري أو أسبوعي للمقالات والأبحاث والتحقيقات والأخبار التربوية والنفسية تعتمد في بداية الأمر على النقل، ولا ضير في ذلك ما دام المنقول منسوباً لصاحبه، وفي نفس الوقت تتيح المجال لذوي الرأي التربوي في توجيه المجتمع العام والمدرس إلى ما يرون فيه مزيداً من الصلاح والارتقاء.

ويمكن أن تكون ملتقى للآراء المتضاربة التي يحقق النقاش بينها

جلب اهتمام أولياء أمور الأطفال ومعلمي المدارس وإداريي التعليم بها، وتثقيف الجميع.

٢ ــ ركن خاص لإنتاج الشباب، فكتّاب وشعراء وعلماء المستقبل سيكونون من بين من تتاح لهم فرص التدريب على الإنتاج والتجارب، وكل شيء يبدأ من ضعف، فإن رعى رعاية حسنة نما وترعرع وجاد ثمره.

ويمكن أن يضمن هذا الركن أو سابقه مسابقات تركّز على الأبحاث التربوية كالكتابة عن «التعليم والمعلمين في التاريخ» أو «محمد «ص» معلمًا».

٣ ــ ركن للأطفال إن لم يستعاض عنه بمجلة مستقلة أو مرفقة صغيرة «كالعربي الصغير» تعنى بشؤونهم وما يوجههم وجهة سليمة حسب مستوياتهم وأسنانهم الصالحة لبذر العادات الطيبة، وغرس أنماط السلوك القويم والأفكار النيِّرة.

لو استطاعت صحافتنا أن تكون مدرسة حياة تنمي الاهتمام بالتربية لدى الناس في مجالسهم وبيوتهم، خاصة وأنه وراء كل باب منزل يوجد أطفال، ومن ليس له ولد فله أخ أو أخت أو ولد أو ولد أخ أو قريب أو جار.

ولو قدِّر لصحافتنا أن تهتم بآراء المربين أمثال الفارابي والغزالي، وابن خلدون، وجون ديوي، وهربرت سبنسر، وكانت، وروسو، والقوصي، وأحمد أمين في كتابه «الأخلاق»، وساطع الحصري، وجميل صليبا، وفاخر عاقل، وصالح عبد العزيز، عبد العزيز عبد المجيد، وكامل الكيلاني ومحمد سعيد العريان، ومحمد عطية الابراشي وغيرهم. لا لتأخذ أقوالهم بالقبول، ولكن لتنقلها وتحللها فتؤيد الصالح منها، وتنتقد خلافه لتبين للنشء وترشدهم وتدل المربين على من على الجادة ومن على ما سواها.

ولو استطاعت الصحافة أن تثير نقاشاً حياً حول موضوعات تربوية قيِّمة لحققت الكثير لمجتمعها، ولاعتبر ذلك منها قفزة تسبق بها المتقدم، خاصة وأن لكل فرد فلسفة، ومجال تطبيق الفلسفة حقل التربية.

ولو تمكنت صحافتنا من إنشاء مراكز للمعلومات والأبحاث العامة ومنها قسم للتربية والتعليم تجمع فيه الكتب والنشرات والمعلومات والمجلات التربوية لتكون مرجعاً للباحثين المختصين في هذا الحقل الذي لا غنى عنه.

لو استطاعت وتمكنت لجذبتنا كقراء إلى مستوى رفيع ننشده ونفتقر إليه ونسعى نحوه، ولأحسسنا بأنها الطبيب الموفق، ولخدمت الإعلام بأحدث طريقة، أي بالإعلام المفيد غير المباشر.

ومحاولات صحافتنا بادية، ولا أعتقد إلَّا أنها خطوة لتحقيق الأهداف والآمال، والمهم ألا يتجاوزنا الزمن قبل تحقيقها.

إذا قدر لصحافتنا أن تجعل الناس يهتمون بآراء مشاهير المربين وشؤون التربية مثلما أوجدت الاهتمام ببنت ابراهيم وأم الوليد، أو ببيليه وفريزر، فإنها تقدم مائدة لذيذة تجمع بين الفائدة والهواية والترويح وبذلك تتكامل عناصر رسالتها ومقومات تقدمها.

والله الموفق لما فيه الخير والصلاح.

«الجزيرة»، العدد ٧٧٢، ٧/ ١١/ ١٣٩٣ هـ.

خواطر
في التربية «والتلفزيون»

تعددت وتنوعت أساليب التربية والتعليم في العالم. ومن أحدثها التعليم والتثقيف بواسطة «التلفزيون» والوسائل الإعلامية الأخرى.

ويعتبر «التلفزيون» أو ما يسمى أيضاً التلفعيون أو «التلفاز» أو المرناة أو الرائي مدرسة لا يقل أثرها عن أثر المدرسة التقليدية والمدرسين، بل قد تكون لها جوانب تأثير أبلغ حيث يأتي من خلال التشويق، والتوجيه غير المباشر، وإثارة الانتباه، وتركيز الذهن عن طريق الانسجام والاهتمام.

وما دام «التلفزيون» وسيلة تربية نفسية واجتماعية وصحية وعلمية وخلقية ووطنية وما إلى ذلك إلى جانب كونه وسيلة ترفيه فعّالة في نفوس الناس وعقولهم على مختلف أسنانهم ومشاربهم وهواياتهم وثقافاتهم ومستوياتهم فهذا ما يؤكد الأهمية الكبرى لما يعرضه. وما يدعو إلى الحرص على دراسة ما يقدمه دراسة دقيقة فطنه من قبل مجموعة مختصة ليلاحظ بعضهم ما قد يفوت على البعض الآخر ويتشاورون في مدلولات ونتائج كل مادة، ويتعرفون على أهدافها وما ترمي إليه، ويكون اختصاص المجموعة «اللجنة أو الهيئة» شاملاً لأنواع ما يعرض كأن يكون منهم المربي وعالم النفس والاجتماع والطبيب... وبهذا يضمن إلى حد بعيد ألا تعرض مادة يراد منها هدف فتحقق هدفاً عكسياً ــ لا قدَّر الله ــ ومع أني لا أقول أن هذا حصل أو لم يحصل، كما لا أعلم إذا كان في «التلفزيون» مثل هذه

الهيئة أو اللجنة المقترحة أم لا، إلاَّ أني أعتقد أن ارتباط برامج «التلفزيون»، بالتربية والاجتماع وعلم النفس أقوى رابطة بإيجادها إن لم تكن موجودة، وزيادة تقويتها ودعمها إن كانت موجودة بشكل أو بآخر يحقق أسمى الأهداف وأنبل المثل التي تبني المجتمع ولا تهدمه، وتسير به على النهج القويم وفقاً للمأمول له.

كما يضمن عدم تغليب هدف ـ كهدف تشجيع الإنتاج المحلي بصورة تتجاوز الحدود ـ على الأهداف الأخرى الأساسية التي لها مكانتها وأغراضها.

وأخشى ما أخشاه أن يريد مؤلف القصة أو التمثيلية معاونة الابن لأمه في خلافها مع أبيه، فيقع فيما لا تقره التربية كإطالة اللسان على الوالد وعدم طاعته، أو الخروج عن حدود الأدب في محادثته ومحاجته، وقد يكون التركيز على دور الابن سبباً من أسباب استحكام الخلاف بين الأم والأب وكلاهما كالعينين أيهما فقد الإنسان فقد شيئاً غالياً لا يقدَّر بثمن. أو أن يذكر المؤلف في سياق الحديث عن المهور أن المهر غال إذ بلغ مائة وخمسين ألف ريال، وكأنه وعن حسن نية، يقول ان المهر لو نقص عن مائة ألف ريال فهو معقول بينما الواقع يقول ان نصف المائة ألف وربعها أيضاً وربما أقل من ذلك تدخل ضمن غلاء المهور الذي لا مبرر له، وعندما يذكر المؤلف رقمًا صغيراً لمبلغ مهر يصفه بالغلاء فإنه يوجه إلى إصلاح، ويجعل الشعور عن دفع مبلغ أكبر منه بأن الخطأ أعظم، وعندما يقوم جدل حول المهر بين الزوج وأهل الزوجة وهو نادر في بلادنا فكأن في ذلك إيحاء للناس بأن مثل هذا الجدل طبيعي يحصل كثيراً بينما هو في الواقع ممجوج مستهجن، وعندما يكثر الحديث عن غلاء المهور فإن المؤلف يعطي الشاب المتهرب من مسؤولياته الاجتماعية عذراً ليبقى على غير الصراط القويم بينما الحقيقة تقول ان عائلات كثيرة تتوفر فيها كل الشروط الخلقية والخلقية المطلوبة مستعدة لتزويج بناتها بدون مهور تستحق الذكر.

والمؤلف غالباً ما يضع قصته ولسان حالها وحاله وحال عرضها على الناس، يقول: إن المخرج من كل عقد القصة ومواقفها هو الموقف الذي يعرض على السامع أو المشاهد أو القارىء ليتبناه في الحالات المماثلة من حياته الخاصة، وكم من مرة قيل «صور من الواقع» وهي ليست من الواقع بل أكثر من هذا حركات وتصرفات الممثلين لا تمت لواقعنا بصلة.

ومن أهم الأمور التي تخدم الدرس والاختبار والاختيار استطلاع آراء الناس في المواد التي تقدم فعلاً، والمواد التي يودون تقديمها، والأوقات المناسبة لتقديمها، وما إلى ذلك.

ومن خلال هذا الاستطلاع سيعرف المسؤولون في «التلفزيون» مزيداً من المعرفة عن:

١ ــ مستويات المشاهدين ونوعياتهم خاصة إذا عرفوا سن المستطلع رأيه، وعمله، ومؤهله، وجنسه، ومكان إقامته، وما إلى ذلك.

٢ ــ ما يرغب المشاهدون رؤيته، وما يهتمون به، ومن خلال ذلك يعرف الأسلوب الأنسب للتوجيه والترفيه.

وأذكر أن المدارس الابتدائية استطلعت آراء تلاميذ الصفين الخامس والسادس، أي أبناء الحادية عشرة والثانية عشرة حول شؤون تعليمية وتربوية وثقافية واجتماعية لتعرف مستويات ثقافاتهم وتفكيرهم ومن ضمن الأسئلة سؤال عن «التلفزيون» والمواد التي تعجبهم فيه، وقد وردت أسماء عدة برامج منها المسلسل العربي «الجنة العذراء» والمسلسل الأجنبي «العمالقة» اللذان استحوذا على إعجاب عدد كبير منهم.

والمادة المرغوبة تجذب المشاهد، وما يجذبه وخاصة في السن المبكرة سيصرفه عما لا تحمد عقباه، إذا أحس بالفراغ والسأم، وعدم وجود ما يعوده على البقاء في المنزل، ولقد قرأت رأياً أشارك صاحبه فيه إلى حد ما، وهو: أن المواد الجيدة في «التلفزيون» وسيلة من وسائل بقاء الناس

في الصيف في الداخل، وطبعاً ليست هذه الوسيلة كل شيء، كما أن تأثيرها ليس من القوة بحيث يركز عليها كسبب، ولكن يكفي أن لها أثرها في المتعة والفائدة والقضاء على الفراغ، ولا يمكن أن يقال انه لا أثر لها حتى مع غيرها من المؤثرات الأخرى.

ثم إن اختيار وقت المادة مهم جداً، والمستحسن أن يأتي الإرسال المطول والبرامج الجيدة والجديدة المشوّقة في فترة الصيف بعد الدراسة، وتأتي البرامج المعادة في أيام الدراسة والامتحانات، وأن تبدأ البرامج مع الفجر وتنتهي في وقت مبكر من الليل، وبرنامج ناجح قوي التأثير يخاطب الشباب بلغة عصرهم، مثل: «العلم والإيمان» أو مع الدكتور مصطفى محمود من الأفضل ألا يكتفي بعرضه مرة واحدة، وحبذا لو يقدم بعد صلاة الجمعة.

إن «التلفزيون» ــ كما ذكرت ــ مدرسة كبيرة مدرّسها لا يقتصر تدريسه على عشرين تلميذاً في صف واحد، وإنما يؤثر في الآلاف أو مئات الآلاف أو أكثر من الناس، ومن هنا تبدو أهمية هذه المدرسة الفريدة الحديثة الوجود والأسلوب، والتي تزداد أهميتها نمواً، ومن هنا أيضاً تظهر أهمية الاعتناء بها، والحرص على جودة إنتاجها، ومتابعة أداء رسالتها السامية التي تحتاج إلى حذر ودقة وتعمق في الدراسة لأنها سلاح ذو حدين.

ولعلي ما رجوت إلا وجود ما هو موجود، ولذا سيكون دور قولي تأكيد أو تأييد ما صار، وما يقال عن التلفعيون يقال عن الإذاعة مع ملاحظة ما يختلفان فيه، والله الموفق لما فيه الخير والصلاح والإصلاح.

«الجزيرة»، العدد ٧٦٦، ٢٩/ ١١/ ١٣٩٣ هـ.

□ تعليق متأخر:

لو أن فيلم عمر المختار وفيلم معركة الجزائر ومسلسلات بأم عيني، وعز الدين القسام، والوظيفة، وأمثالها عرضت قبل استطلاع رأي الطلبة فإني أتوقع ــ والله أعلم ــ أنها ستحظى بالإعجاب.

الدكتوراة والمناخ

استمتع قراء الرياض الصحيفة بحوار شيق موضوعه المناظرة بين دكتوراة الصيف ودكتوراة الطقس البارد حسب تعابير الكتـاب، وتميز النقاش بالمصارحة التي أضفت على الموضوع التجرد من كل ألوان المجاملة التي عادة تخفي حقائق الاعتقاد ووضوح الرأي، وما لم يتجاوز الأمر إلى الغمز واللمز والتعصب والانفعال والتعرض للأمور الشخصية فإن ذلك هو النهج العلمي الأدبي الذي يثقف بعمق وتكامل، ولقد كان المتناقشون على مستوى رفيع من تبادل الاحترام مع سعة في الأفق، وانشراح في الصدور، وتفهم وحسن نية، حتى أن ما يبدو شخصياً لم يفسروه إلا أنه متمم لشرح الموضوع وملابساته ولا تراد الإساءة من ورائه، لكن النقطة التي وصل إليها النقاش هي مفترق الطرق فإما أن تخرج عن الموضوع إلى المهاترات وهذا غير متوقع، وإما أن تجر بعد الاستقراء إلى استنتاج الحصيلة واستنباط الأهداف والرأي الذي يجب الخروج به ليكون مبدأ ومرشداً وموجهاً للأجيال في تحديد مفاهيمها عن الدراسات العليا في مختلف المناخات.

ورأيي الشخصي ــ وهو يبدو غريباً لأول وهلة ــ هـو أن كل الأطراف المختلفة كانت على حق، وكلها في نفس الوقت كانت على خطأ أيضاً والسبب هو «التعميم» و «الإطلاق» وهما مشكلة عربية صميمة، فمن يذكر محاسن دكتوراة الشتاء أو الصيف ولا يذكر مساوئهـا أو بالأصـح سلبيات الحصول عليها ومحاسن غيرها هو مخطىء، ومن يذكر مساوىء

دكتوراة الشتاء أو الصيف ولا يذكر محاسنها ومساوىء غيرها هو مخطىء أيضاً، وإن أصاب في جانب ذكر المحاسن لأن الموضوعية أن نقول ما للشيء وما عليه، وأن تذكر السلبيات والإيجابيات معاً، ولأن الموضوعية أيضاً وتلافي التعميم والشمولية وإطلاق الأحكام تتطلب ألاّ نحكم على قارة أو بلد بأكمله وكأن مستوى جامعاته وكلياته وأقسام الكليات والأساتذة بل والطلبة واحد كأسنان المشط، ويجوز لنا حينذاك أن نطلق حكمًا واحداً على الجميع، وبذلك نتيح للهوى أن يكون الموجِّه، ونصبح كتلك المرأة التي تتحدث عن واجبات الرجل وحقوق المرأة وذلك الرجل الذي يناقشها متحدثاً فقط عن حقوق الرجل وواجبات الأنثى ولا أحد منهما يتحدث عن واجباته هو وحقوق غيره ويتكلمان ولا يستمع أي منهما للآخر.

وبحثاً عن الجانبين جانب المناقب وجانب المثالب نزور بلاد دكتوراة الطقس البارد لنجد:

١ ــ أن فيها جامعات مشهورة بجودة الدراسة وعمقها وتكاملها، وفيها كليات معينة وأقسام وأساتذة معروفون باحترام العلم ونزاهة التقويم والتقييم، والحرص على شرف المهنة والمسؤولية، لكن هذا الحكم لا ينطبق على الجميع أي جميع الولايات والأقاليم والجامعات والكليات والأقسام والأساتذة. والمستويات المتفاوتة في الجودة والرداءة موجودة أيضاً في بلاد دكتوراة الصيف، وإن اختلفت الملامح.

٢ ــ يقال ــ والخبر كما يقولون لا يخرج من تحت حصاة ــ ان في بلاد الطقس البارد أقصاه وأدناه جامعات وهمية لا وجود لها كما توجد جامعات وكليات غير معترف بها، كما توجد أقسام غير معترف بها بعد وإن كانت في جامعات معترف بها، وبعض الجامعات أغلقت لعدم قانونيتها ولكن بعد أن أعطت طلابها شهادات عليا ومن بين طلابها طلبة أجانب رجعوا إلى بلادهم ليتسنموا مسؤوليات تعد آراؤهم في تسييرها «زبدة

الحكمة وخلاصتها!» لأنهم عادوا بكامل العلم ولديهم شهادة بذلك مطبوعة ومنمقة ومزخرفة وموقعة ومختومة!

٣ ــ بعض الجامعات يطلق عليها «سجل تو. . .قو. . . To go» أي لا تتردد في عدد المواد التي ترغب دراستها في كل فترة دراسية فلا خوف عليك من الرسوب. والمهم مدى رغبتك في الانتهاء من الدراسة والذهاب آيباً إلى بلدك.

٤ ــ يقال ان مكاتب متخصصة تتعامل مع دكاترة متخصصين لإعداد رسائل الدكتوراة والماجستير في كل فن تعرض خدماتها، ودفع القيمة على النجاح، وهي مخزية غير قانونية لكن سمعت بها من أفواه أبناء بلدها.

٥ ــ صديق لي قال إنه زار صديقاً له جمعه به معهد اللغة فعرض عليه صديقه أن يلتحق بالجامعة التي يدرس فيها، وقد أراه هذا الصديق ــ وهو من بلد آخر ــ زميلة له تأخذ مبلغ كذا إن طلبت منها الكتابة في موضوع ولم تعطها سوى عنوانه، وتأخذ مبلغاً أقل منه إن أحضرت لها رؤوس مواضيع للبحث. فرفض صديقنا السعودي ذلك لأنه كان راغباً في العلم للعلم لا لأغراض أخرى، والنوعان متوفران والقرار الأخير يبقى للدارس نفسه ولمرجعه.

ومن يساعد في البحث يمكن أن يساعد في إعداد الرسالة التي قد يكون الفضل في إعدادها لآخر أو أنها منقولة من رسائل أخرى أو مكونة مما يقال عنه «آخذ من هنا ومن هنا وأقول ألفته أنا»، وكثيراً ما يكون جزء كبير من الرسالة تاريخاً لبلد صاحبها أو وصفاً له لا يعرفه المدرس. ولذلك ندرت ترجمة الرسائل.

٦ ــ زميل من بلد آخر يقول ان جامعة «كذا» تسمى جامعة من يرغب في وظيفة كبيرة، فالتعارف والتعصب للجامعة يجعلان الموظف الكبير

يجتذب صديقه وزميله إلى وظيفة كبيرة أيضاً لا على أساس الكفاءة، وكلاهما يتحدثان عن الجامعة بلغة التعصب مستعينين بأفعل التفضيل حتى ولو كانا لا يجيدان كتابة ثلاثة أسطر عربية خالية من الأخطاء النحوية والصرفية والتعبيرية والإملائية والخطية، ولا يعملون في مجال الاختصاص.

٧ ــ ويوجد من الأساتذة من يقبل أي بحث، وبكرم غير معهود إلا في التقديرات يعطى أعلى التقديرات، ومنهم من يسأل تلميذه فإن عرف أنه لن يبقى في البلد بعد تخرجه أجزل له التقديرات، ولا يهمه مستواه، بل ربما يهم بعض الأساتذة ألا يكون مستواه ما يسمى «خطيراً» في جودته وتوقعات تحصيله وإنتاجه، واما ان عرف أنه مهاجر مقيم فإنه لا يخرج من سيعمل في بلده ولبلده إلاَّ بعد أن يطمئن على إلمامه ونجاحه فيما تحتاجه المهنة.

والأمثلة كثيرة والصور متعددة لكنها ليست شاملة، ولا بد أن للإشاعة دوراً في تضخيمها.

وعن بلاد دكتوراة الصيف تروي الأحاديث:

١ ــ أن موظفاً كبيراً من بلد غير بلادنا درس وأعد رسالة الدكتوراة وقدمها في ذلك البلد الصيفي الشهادات وكانت اللجنة تضم أحد مستشاريه المتعاقدين مع بلده، وقد استقبلت لجنة الامتحان ذلك الموظف الطالب في المطار بعد أن أذاعت ونشرت وسائل الإعلام خبر مقدمه، وهذه المعاملة لا تستبعد ما تعنيه من معاني، وقد يصل التقدير إلى درجة «الشرف».

٢ ــ قد تكون الهدية في بلاد الطقس البارد في شكل سجادة أو لوحة أو ما شابه ذلك، ولكنها في بلاد الدفء تأتي في شكل «راديو» أو «تلفزيون». وتعددت الأنواع ولكنها تبقى «هدايا» مما حذر عنها الإسلام وقاية للمجتمع وحماية لأركان بنائه.

هذه الأمثلة من الإشاعات والأقاويل والصور السلبية ليس من السهل التصديق بها، وإن صدقت فإنها ليست شاملة لكل جامعة وكل كلية وكل قسم وكل أستاذ. والقاعدة العامة في الحياة هي أنها لا تخلو من الوجهين، الوجه النير الشريف، والوجه المظلم الدنيء.

وإن قلنا بأنه ما دامت هذه الصور توجد في بلدان الطقسين المختلفين فلن نرسل أبناءنا للدراسة فيهما فإن ذلك خطل عظيم. لأن الصور السيئة وإن كانت موجودة إلا أنها غير عامة، وإذا ذكرنا المثالب فلنذكر المناقب، ولنتذكر أن جامعات الصيف والشتاء على السواء قد خرجت لبلدنا بعضاً ممن تأهيلهم لم تمر به تلك الصور أو بعضها أو ما يشابهها ونقول بعضاً احترازاً من التعميم دون تخصيص أو اتهام لأحد.

وقد أثبتت الوقائع قدرات ذلك البعض عندما تسنمو مراكز المسؤولية ودلائل استفادتهم مما درسوه يأتي منها:

(أ) ابتعادهم عن الهوى والأنانية وضيق الأفق عندما يشاركون في سن أنظمة أو تنفيذها.

(ب) نشرهم لرسائل الماجستير والدكتوراه التي حصلوا عليها لكي يفيدوا مجتمعهم بالعلم والتثقيف، ولكيلا لا يحرموه، وخوفاً من لجام النار لكاتم العلم.

(ج) استمرار نشرهم للأبحاث واطلاعهم على كل جديد وعدم هجرهم للعلم.

(د) التجديد والابتكار المفيد ونقل الخبرات مع تمييز النافع والضار منها، وقد لمس ذلك ويلمسه غيرهم ممن لم تتح لهم ظروف الحياة مواصلة الدراسة فأدوا واجباتهم بدورهم على النحو الذي أمكنهم.

(هـ) القدرات الواضحة لديهم في اللغة العربية والعلوم العامة ومجال الاختصاص مما دعا المحيطين بهم إلى الإعجاب بهم والثناء عليهم.

هذه ثياب يلبسها من تلائم مقاساته، ومن ليس كذلك سيلقى خلاف ذلك، واللوم عليه إن لم يجد ثوباً وعرّاه الزمن.

ولا أحد ينكر أن جامعات الصيف وجامعات الشتاء مع الكليات والجامعات الداخلية قد أدت للعلم أعمالاً وثمرات لا ينكر فضلها ودورها، ولها آثار علمية بارزة، وفعالياتها غير محدودة بزمان أو مكان، لكن الذي يجب أن نخلص إليه هو ما يلي:

١ ــ أن للدارس ذاته دوراً كبيراً بل الدور الأول في تحديد مستواه، وتحسين إنتاجه وتقييم كفاءته، وقدرته على الابتكار، ونلاحظ أن معظم القديرين من حملة الشهادات العليا كانت ملامح القدرة بادية عليهم قبل حصولهم على المؤهلات العالية، وجاءت المؤهلات لتكمل في حدود. وقد تكون المطالعة الحرة والبحث الشخصي المستعين بمختصين وخبراء يكفيان عن الشهادات ويقومان مقامها، ولذلك يجب إذا وضعنا الشهادة الدراسية كأحد عوامل التقييم ألا تكون في المقدمة، وألا تعطى أهمية فوق قدرتها وحقيقتها بل يجب أن يسبقها:

١ ــ الاستعداد والقدرات
٢ ــ المواهب
٣ ــ الخبرة المستفيدة لا مجرد عدد سنوات الخدمة والتي تعد سنة تكرر نفسها برتابة.

ثم يأتي التأهيل، ولذلك يفترض في الجهات المسؤولة عن التوظيف أن توجه المؤهل تأهيلاً عالياً إدارياً كان أو غير إداري إلى عمل يكون فيه مرؤوساً أكثر مما هو رئيس، ليجرَّب ويجرِّب العمل المرؤوس ثم وبصرف

النظر عن الشهادة فقط يقيم ويرقى مالياً وإدارياً حسب استعداده وكفاءته وخبرته المكتسبة وإنجازاته.

٢ ــ ألاّ يقيّم الإنسان أدبياً واجتماعياً على أساس شهادته أو البلد أو القارة التي صدرت منها، وإنما على أساس أعماله ومنجزاته. وفي جامعات مشهورة في بلدان متقدمة تعليمياً رؤساء أقسام ليسوا دكاترة وبقدراتهم يديرون أقساماً أكثر أساتذتها دكاترة.

٣ ــ أن يكون لدى الجهات المختصة مزيد من المعلومات الوافية، والتقييمات الدقيقة للجامعات والكليات وأقسامها وأساتذتها في حدود أقصى ما يمكن، وأعتقد أنه يوجد شيء من هذا القبيل، فإذا ما أريد ابتعاث دارس رجعت الجامعات الداخلية أو الملحق التعليمي أو إدارة البعثات إلى الجهة التي سيبتعث إليها ودرست حالتها وأخبرته باحترازاتها تجاهها كرفض قبول أي درس مع الدكتور الفلاني إن عرف عنه عدم مراعاة شرف المهنة، أو عدم دراسة المبتعث تخصصاً معيناً في الجامعة التي سيدرس بها، أي تحذيره من الأقسام والتخصصات والأساتذة الذين ترفض جهة الابتعاث قبول الدراسة لديهم.

وإذا ما تخرَّج الدارس رجع ديوان الخدمة إلى معلوماته عن مصدر الشهادة فقيَّمه بناء على ذلك، وطبيعي أنه لن يكون على أساس تقييم التعميم، كما يفعل بعض الكتّاب، هداهم الله.

٤ ــ إن من واجب كل شخص، ومن فروض الأمانة العلمية أن يذكر المحاسن والمساوىء له أو لغيره أو عليه وعلى غيره، وهذا هو السبيل الرائد للبحث العلمي المفيد، والموضوعي الودود الولود للإيجابيات، المبتعد عن السلبية العقيمة والتعصب الأعمى، والعاطفية المقيتة التي تردى في المهالك، وتؤخر إلى وراء الوراء.

وأخيراً، أهنىء المشاركين في النقاش على سعة آفاقهم، وانشراح صدورهم، وتقبلهم للنقد بروح بنّاءة، وبصراحة خدمت الموضوع في معرفة ما يدور في الأذهان حتى أن من القراء من ظنوا النقاش قد تعرَّض لأمور شخصية، وما هو بذلك، لكنه العمق يولد الفهم والغوص إلى كل ما يمت للموضوع بصلة، ولعله ينتهي بنتائج نافعة وأهداف نبيلة تجتمع الآراء على الدعوة إليها والإخلاص لها إرضاء لمن رضاه سبحانه هو منتهى الآمال، وعلينا أن نتعاون جميعاً كل حسب اختصاصه وموقعه لحماية جامعاتنا الداخلية من كل سلبيات الجامعات الخارجية «والحكيم من وعظ بغيره»، ولنا في جامعاتنا كبير الأمل وعظيم الثقة بتوفيق الله.

وإننا نذنب في حق بلادنا وحق الشخص ذاته الذي يضع أمام اسمه حرف « د » إذا فسرنا ذلك الحرف دائمًا بأنه رمز لكلمة دجّال لأنه في معظم الأحيان أو بعضها رمز لكلمة دكتور «بحق وحقيقة» كما يقولون، والله العليم.

«جريدة الرياض»، العدد ٤٤٨٤،
٣٠/ ٤/ ١٤٠٠ هـ.

□ بالمناسبة:

في أميركا مؤسسات «تعليمية» ترسل بالبريد كتب الصف الثالث الثانوي «الثانوية العامة» ومعها أو بعدها بوقت ترسل بالبريد أسئلة اختبار فيها، ويجيب عليها الطالب أو الطالبة، ويرسل إجاباته مع ثلاثمائة دولار إلى تلك المؤسسة فإذا نجح حصل على الشهادة الثانوية العامة، ولو لم يكن حاصلاً من قبل على أي شهادة عامة أو نقل دونها، و «لكسب الوقت» يستعين بعض الطلبة والطالبات الأجانب بأمريكان للإجابة على كامل الأسئلة، ومن الطالبات الأجنبيات من استفدن من عملية «كسب الوقت» هذه فحصلن على الثانوية العامة وميزات الحصول عليها المادية والتعليمية وربما الوظيفية، ولكنهن في مستوى تحصيلهن خدعة لبلدهن، حمى الله بلادنا من أمثالهن.

لغة الضاد. . .
بين العاشق والطارق

يا ابن الضاد في بلد الضاد:

إن أول مراحل الاستعمار هو الغزو الفكري واللغوي والسخرية من التعريب، والتهوين من فضولية وآثار اللغة الغازية.

وبلادنا الحبيبة لم ولن تستعمر أبداً بإذن الله، ولكي تواصل شرف استقلالها أو صد الأبواب في وجه الصغيرة والكبيرة من الأسباب ومن مقدمات الاستعمار التمهيدية «فمعظم النار من مستصغر الشرر» وأول ما يجب أن نعيه وان استهونه بعض الناس، وفهمه خطأ البعض الآخر هو محاولة اللغة الأجنبية افتراس لغتنا، لغة ديننا وآبائنا وثقافتنا وقومنا وأرضنا.

وللجمهور دوره في تشجيع من بالحلبة، ولكي نكون جمهوراً مخلصاً للغته، ناجحاً في تشجيعه، علينا على سبيل المثال مع السير على المنوال ما يلي:

أن نهجر وألاّ نقول	وأن نحيي ونقول
تلفون	هاتف
سيل ــ أوكازيون	تخفيضات ــ تنزيلات
ريبورتاج	استطلاع
لكس/ دي لكس	ممتاز

بوتيك	دكان/ حانوت/ متجر/ محل/ محلات
سوبر ماركت	السوق الكبير/ البقالة المركزية
راديو	مذياع
تلفزيون	رائي/ مرناة/ تلفعيون /تلفاز
اوتوستراد/ هاي وي/ فري وي	الطريق السريع
كوبري	جسر
بلكونه/ فرندة/ برندة	خارجة/ بسطة/ شرفة/ فَسحة
بوليس	شرطي/ شرطة
سكرتير/ سكرتارية	أمين سر/ أمانة سر
كنديشن	مكيف
دكتور «طب»	طبيب
دكتور	عالم أو علامة «حسب المعنى في القاموس»
دكتوراة	عالمية
ماجستير	عالية
بكالوريوس/ ليسانس	جامعية
أوتوبيس	حافلة
أنتريه	مدخل
كمبيوتر	حاسب آلي
لوري	شاحنة
كفرات	عجلات
أوتيل	فندق
بنك	مصرف أو بيت التمويل
ستب	قف
(H) علامة المستشفى	توضع سماعة طبيب للدلالة على المستشفى أو رسم هلال

(P) علامة موقف	موقف، أو رمز عربي، أو رسم
بسكليت	دراجة
بنسل	قلم رصاص/ مرسمة
ألو	السلام عليكم
أوكي	طيب/ حاضر/ نعم
موكيت	سجاد أجنبي
كبتن	رئيس أو قائد
كتالوج	دليل أو قائد

وكلمات تحتاج إلى تعريب مثل: ستوديو، كاونتر، كروكي، كنب، كوميدينه، بنطلون، آيسكريم الخ.

إن بعض الكلمات قد لا يستساغ استعمالها في البداية لكن مع التعود، وإحجام وسائل الإعلام والناس عن استعمال غيرها سيجعلها مقبولة مألوفة، وستنتشر وخاصة بين صغار السن الذين سيكبرون عليها وتستنكر أسماعهم استعمال غيرها، أليس الصغار الآن تأثراً ببرنامج «إفتح يا سمسم» يقولون «مغلق» بدلاً من الكلمات العامية المرادفة ويقولون «إثنان» بدلاً من «اثنين» حسب نطق العامة لها بصرف النظر عن موقعها من الإعراب؟!

ومن الكلمات التي تحتاج إلى وقت لقبول بدائلها كلمتا راديو وتلفزيون اللتان لا اشتقاقات عربية لهما، وقد شاعا بكثرة، وإن كان البعض يرى أن يسمي التلفزيون تلفازاً، والبعض الآخر يرى أن يسمي حسب رأي الأطباء، «تلفعيون»، لكن ليس لهما مدلول من لفظهما لدينا، ولذا لا داعي للتمسك بهما لمجرد انتشار لفظهما واستعمالهما بكثرة فإما أن يجري الاشتقاق إن استحسن أو يستبدلان بمعنى لكل منهما يؤدي الغرض وإن لم يكن مشتقاً.

إن استعمال الكلمات العربية والحث عليه وخاصة في وسائل الإعلام والمدارس وكتبها واجب وطني وديني وأدبي وعلمي وحضاري، وهو يلقى التأييد والتشجيع من الكبير والصغير، من الجميع، إلا من بعض تلاميذ الغرب الذين تلقوا الدروس منه بطواعية انقيادية تقليدية، أو من لديه عقدة نقص من عدم التلقي «عقدة الخواجة» وعند الله لهذين الشفاء ومنّا لهما الدعاء.

«جريدة الرياض»، العدد ٤٥٤٧، ١٥/ ٧/ ١٤٠٠ هـ.

□ بالمناسبة:

إن النوادي الأدبية، والمجس الأعلى للآداب والعلوم والفنون مدعوة لمناقشة مثل هذه الأمور كماهي مدعوة لدراسة الاقتراح المطروح من أكثر من واحد بإنشاء مجمع علمي لديه الشجاعة العلمية الكافية للصمود علمياً وأدبياً ولغوياً في وجه مقوضيه لحساب اللغات الغازية.

العمل تربية إنسانية
مـا العمل؟

ورد في القاموس المحيط أن العمل هو المهنة والفعل، والعمل عنصر رئيسي بل هو السبيل لتحقيق الأهداف، وإحراز النجاح، وإتمام متطلبات الاعتقاد، فأي خطة اقتصادية كانت أو اجتماعية أو ثقافية أو تربويـة أو غيرها تتطلب عملاً لتحقيق مرماها.

والإيمان ليس قولاً باللسان وتصديقاً بالجنان فقط وإنما هو أيضاً عمل بالجوارح. والعمل في أنواعه، وعوامله، ومقداره، ودرجـة إجادتـه، وتنظيمه، والصبر عليه. هو العامل الأساسي المؤثر في تحديد صفات التقدم أو التخلف، والرقي أو الانحطاط، وهذا ما يتطلب تفصيلاً فيما يلي:

«كيف يتكامل العمل في حدود قدرة الإنسان»؟

العمل المتكامل المنشود يستلزم ما يلي[1]:

١ ــ **الإيمان**: الإيمان بضرورة العمل وأهميته، وانه لا سبيل إلى بلوغ المراد إلا بالعمل، وان درجة نجاح المراد تقترن بدرجة الاجتهاد فيه والايمان والقناعة به اللذين يساعدان على الاتقان والمثابرة.

---

(١) استفدت من مقالة «لا نار ولا نور» للأستاذ غزالي حرب، كتاب «بلادنا والزيت» ص ٢٢ في كتابة هذا الموضوع.

٢ ــ **البدء بالعمل**: فالايمان بلا مشروع ناقص ولا يكفي، والمبادرة بالعمل تأتي أهميتها تبعاً لموقعها سرعة أو إبطاء، وكل تأخير له تأثير. قال صلى الله عليه وسلم «بادروا بالأعمال، هل تنتظرون إلّا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو الساعة والساعة أدهى وأمر» أو كما قال: والبدء بالعمل يتطلب أن يسبقه مع الايمان تصور له وتخطيط.

٣ ــ **الإجادة والاتقان**: قد يأتي العمل بنتائج عكسية إذا افتقر إلى الجودة والاتقان، وكل إحسان للعمل يتطلب أول ما يتطلب لتحقيقه الاخلاص فيه، على أن الاخلاص وإن كان عاملاً رئيساً لتحقيق الجودة والاتقان إلا أن ما كل من أخلص أتقن، نظراً للحاجة إلى أمور أخرى كالموهبة والدراية والتدريب لكن الاخلاص يأتي في مقدمة المستلزمات للاحسان والإتقان.

قال تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ الملك (٢)، وقال عز من قائل: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ الكهف (٣٠) وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب من عبده إذا عمل عملاً أن يتقنه».

٤ ــ **مواصلة العمل**: فالعمل الدائب بإخلاص ونزاهة واتقان هو السبيل لاستمرار جني ثمار العمل ديناً ودنيا، ومتى ما توقف السبب توقفت النتائج، ومتى انقطع سقي الزرع ورعايته توقف جني الثمر وانقطع الحصاد، والمثابرة على العمل تعني مضاعفة منتوجاته والمؤمل منه قال تعالى: ﴿ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾، الأنعام (١٢٣) وقال صلى الله عليه وسلم: «أحب العمل إلى الله أدومه وان قلّ».

٥ ــ **نوعية العمل**: فليس كل عمل مرغوباً ومحبوباً، والعمل إذا لم يكن مفيداً فهو هباء وضياع وقت، وإن كان ضاراً فهو وباء ومرض تجب مكافحته لأنه ناشر للفساد والشر ومقاوم للخير والصلاح، فلو عمل جاهل

ضال في ناد للقمار أو محل للبغاء أو سرق وامتهن السرقة بكل أنواعها، أو تستر على اللصوص وشاركهم وساعدهم فإنه إنما يمتهن العمل ويلطخ قيمته ومكانته، وهؤلاء ممن قال الله سبحانه فيهم: ﴿حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين﴾ المائدة ٥٣.

أما من يختار عملاً صالحاً نافعاً له ولأمته ووطنه فقد قال الله تعالى فيه وفي أمثاله: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ النحل ٩٧. وليس مقياس الحياة الطيبة مقدار الثروة المادية، والاندفاع بنهم في الركض وراءها، ولكن معيارها السعادة والرضا والطمأنينة التي لا يقتنيها إلاّ من رضي الله عنه وأراد الخير له.

٦ ـ **الصبر والأمل**: النجاح في العمل وإتقانه والمثابرة عليه تتطلب الصبر في الاداء، والأمل الذي يملأ النفس بالبشر، وينشط الحواس والأعضاء، ويقوي العزيمة، ومن يفشل فيحكم على نفسه بالفشل، ويدع اليأس يتطرق له ويطرق بابه يجعل سقوطه هيناً سهلاً، أما من يصبر ويعاود المحاولات، ويؤمل في الحصول على نتائج أفضل، ويؤمن بأن الفشل سبيل النجاح فإنه يحقق نسبة عليا في إمكانية النجاح والتوفيق. والايمان والصبر والأمل «مقويات» تجعل الإنسان عاملاً لا خاملاً، وتبعد الكسل ومظان الفشل، وتنشط للعمل، وتقوي العزيمة، وتعلي الهمة.

٧ ـ **تحديد الأهداف**: وأهم هدف يساعد على تحقيق مستلزمات العمل هو أن يكون سعياً لإرضاء الله سبحانه، وإرضاء الله أقوى دافع من الايمان بالعمل ذاته والصبر عليه والأمل فيه، بل إن العمل لإرضاء الله من أهم منابع الأمل والصبر والايمان بالعمل ودوره. والحرص على رضا الله يساعد على انتقاء نوعية العمل، كما يدعو إلى الشروع فيه، والسعي إلى إجادته والاستمرار عليه مع تحقيق مراميه. ومع هدف إرضاء الله لن يحس العامل بالفشل على الاطلاق لأنه يؤمن بأن للمصيب أجرين وللمخطىء

أجر واحد، فالأجر حاصل بإذن الله على أي حال ما دام نوع العمل طيباً. والاخلاص موجوداً، والمثابرة مأخوذاً بها وفقاً لقوله صلى الله عليه وسلم «إذا قامت القيامة على أحدكم وفي يده فسيلة ـ نخلة صغيرة ـ فليغرسها»، ومن هنا تبدو روح التفاؤ ل في الإسلام، والعمل بإيثار وتعاون وتكامل، والرغبة في أداء الواجب إلى أقصى درجات الجهد ونهاية الوقت للحصول على أكمل النتائج ما أمكن. والآيات الحكيمة والأحاديث الشريفة تزخر بما يدعو إلى تحقيق مستلزمات العمل المتكامل في حدود طاقة الإنسان.

ومن الأهداف للعمل والتي أيضاً لا تخرج عن نطاق هدف إرضاء الله سبحانه:

(أ) طلب الرزق وإعالة النفس والأهل والولد، وألا يكون الشخص عالة على غيره.

(ب) الإيجابية في مساعدة الأمة وبناء مجتمعها، والحرص على تحقيق عوامل تقدم المجتمع الإسلامي، ورقيه، وتعزيز وجوده قوياً منيعاً.

(ج) المساهمة في بناء الأوطان وتوطيد دعائم جهادها ودفاعها.

وتوجد أهداف أخرى ثانوية منها ديني ومنها دنيوي، والمحظوظ من عمل قائلاً «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة» فسمع الله نداءه وعرف اجتهاده فأجاب دعاءه.

٨ ـ **التقييم والتقويم**: كل عمل يتطلب تقييمًا ودراسة نتائج، وهذا سبيل الاصلاح والتعديل والتقويم والتطوير، وإلاّ فإن الشخص إذا لم يقيم عمله سيتعرض للاستمرار في الخطأ، وربما إلى حد لا يجعل إمكانية التقويم سهلة أو ممكنة.

وتربية الطفل مثلاً إذا لم تقيم بين حين وآخر فقد تأتي بنتائج غير مقبولة، فإذا تمكنت تلك النتائج صعب إصلاحها إلاّ بعد ردح من الزمن إن أمكن ذلك، وقد لا يمكن إذا يبس الغصن.

ومن أقوال النبي صلى الله عليه وسلم القدوة قولاً وعملاً:

«لا يقبل إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان».

«من أمسى كالاً من عمل يديه أمسى مغفوراً له».

«... ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته»، «باكروا في طلب الرزق والحوائج فإن الغدوّ بركة ونجاح».

«إذا صليتم الفجر فلا تناموا عن طلب أرزاقكم».

«خير الكسب كسب يدي عامل إذا نصح».

«أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل كسب مالاً من غير حله فدخل به النار»، «إن الله يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال».

الاحاديث من كتاب: «منهاج الصالحين»، لعز الدين بليق

«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»
والله الموفق لعمل الخير، وخير العمل

جريدة الرياض، العدد ٤٥٦٧
في ٨/٨/١٤٠٠ هـ

□ بالمناسبة:

عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فقال: «لك في بيتك شيء؟» قال: بلى، حلس نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقدح نشرب فيه الماء فقال: «ائتني

بهما» قال فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثم قال: «من يشتري هذين؟» فقال رجل: أنا آخذهما بدرهم قال: «من يزيد على درهم؟» مرتين أو ثلاثاً قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال: «إشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً، فأتني به» ففعل فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشد فيه عوداً وقال: «إذهب واحتطب ولا أراك خمسة عشر يوماً» فجعل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فقال: «إشتر ببعضها طعاماً وببعضها ثوباً» ثم قال: «هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لذي فقر مدقع أو لذي غرام مفظع أو دم موجع».

● من أسباب تحريم الرِّبا أنه يميت روح العمل بينما الإسلام يشجع عليه، وليس الاستغلال هو السبب الوحيد في تحريمه.

بحث في اللغة

من مشكلات كتابة الكلمة الأجنبية بالحروف العربية فيما يشبه التعريب، أو هو ضرب منه الاختلاف حول ترجمة بعض الحروف إلى أي حرف آخر يماثله أو يشابهه، ويلاحظ الاختلاف بين البلدان العربية في الصحف والمجلات والكتب والنشرات، فمنهم من يكتب كلمة الانقليزية بالكاف «الانكليزية» ومنهم من يكتبها جيمًا «الانجليزية»، ومنهم من قد يكتبها بالغين «الانغليزية» والأخيرة نادرة في هذه الكلمة لكنها تكثر في كلمات أخرى، مثل: هونغ كونغ ولقد تساءلت بعض دور النشر هل تكتب هونق كونق بالقاف أو الكاف أو الجيم أو الغين، أي ذلك أصوب وأقرب إلى العربية سواء في هذه الكلمة أو ما شابهها، وللإسهام في هذا التساؤل والبحث اللغوي أورد المرئيات التالية المبنية على البحث عن الأصول ما أمكن.

أولاً ـ حرف (ج):

كانت مصر في السنوات القريبة الماضية مركز العلم، ومنبع التربية المعاصرة، ومنار الثقافة للدول العربية المحيطة بها والبعيدة عنها بنسب كبيرة ومتفاوتة، ولذلك ما تتأثر به القاهرة يتأثر به العرب ولو كان خطأ. فالأخوة المصريون يقولون: قموع، قاهل، قميل، قمال، قده، مقنون،

وهم يعنون ويعلمون أنها تكتب: جموع، جاهل، جميل، جمال، جدة مجنون الخ.

وأوائلهم المبتدئون ربما سمعوا مثل هونق كونق فظنوها كالكلمات السابقة تنطق قافاً وتكتب جيمًا، لذا كتبوها خطأ وشاع الخطأ: هونج كونج، ولا أحد ينطقها حتى منهم كما تكتب بالجيم، وصرنا على آثارهم مقتفين.

وملحوظة لغوية أخرى هي أن الأخوة المصريين ينطقون ما يكتب قافاً حرف ألف فمثلاً: قال، قلب، قريب، يقولونها آل، ألب، أريب. ولو كتب أوائلهم هونق كونق بالقاف كما يجب أن تكتب لكان المتوقع من عامة المصريين أن ينطقوها حسب قاعدتهم في قلب القاف ألفاً: هونء كونء وهذا صعب ثقيل النطق، وغير قريب من أساس اللفظ، لذا لم يكتبوها بالقاف كما يجب أن تكتب وتنطق بالعربي.

وتحويل حرف القاف إلى حرف آخر حدث في العراق وبعض دول الخليج، فهم يقولون: جاسم، وأصل الكلمة قاسم، ومحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أبو القاسم، وتحولت القاف جيمًا (خطأً) أو لنقل لهجة حسب نزعة اللهجات، وفي بعض دول الخليج تحولت الجيم إلى ياء، فيقولون: دياي أي دجاج، ويمل أي جَمَل، وطبيعي أن أساس الكلمة وأصلها هو الصواب، ومن العرب من ينطقون حرف الذال زاياً فيقولون: الّزين ويعنون الذين.

وفي السودان والكويت وبعض الأقطار المحيطة يحولون القاف غيناً فيقولون، مثلاً: يوم الاستغلال ــ بالغين ــ وهم يعنون الاستقلال ــ بالقاف ــ وفي بعض الجهات من جنوب الجزيرة، يقولون: من غال هذا ــ بالغين ــ استقفر الله ــ بالقاف ــ ويقصدون «من قال هذا أستغفر الله».

وفي بعض البلدان العربية تنطق الثاء سيناً، فيقولون عن الحوادث: الحوادس، والثرثرة سرسرة. كما تتحول الشين سيناً فيقولون عن الشجرة: السجرة.

وأكثر من يعتب عليهم في عدم التصويب المدرسون والإذاعيون.

ومن استعراض ما يجري من تغيرات على بعض الحروف يبدو أن بعضاً من الأقطار العربية وبعضاً من قبائل الجزيرة يحولون حرف القاف إما إلى غين أو جيم خلافاً للأصل والقاعدة وما عليه الكثرة التي يجب المسار على منوالها «الجمهور والقاعدة» خشية التوسع في اللهجات وضعف التفاهم اللغوي.

وإذا رجعنا إلى اللغة الانقليزية ذاتها التي نرجع إليها في الكلمة مدار البحث نجد أن حرف الجيم في الانقليزية يكتب: (J:j)، مثل: (Jar: Jam) جام، جار، ولا يكتب حرف (G-g) جيمًا في العربية أو ينطق جيمًا في العربية والانقليزية إلاَّ إذا لحقه حرف (E:e) فقط، مثل: جورج (George)، لكن لا يمكن أن تنطق صواباً كلمات: (Go. Good. God)،

إلاَّ: قَدْ، قُدْ، قُو.

وليس: جَدْ، جُدْ، جو.

ولا: غَد، غُد، غو.

ثانياً ـ حرف (غ):

ورد تحت أولاً بعض التغيرات التي تجري على حرف القاف لينطق غيناً في البلاد العربية، لكن يبدو أنها ليست السبب في كتابة القاف غيناً في البلدان العربية السابقة إلى العلم والثقافة في العصر الحديث، مثل: سوريا ولبنان والمغرب العربي، وإنما السبب هو أن من يترجم الكلمات الانقليزية إلى العربية منذ عدة سنوات هم أناس تأثروا كثيراً بالثقافة واللغة الفرنسيتين، ومنهم مستشرقون أو من أقاموا طويلاً في فرنسا ومستعمراتها،

حتى أن منهم من يبدو في ترجمتهم الانقليزية إلى العربية وكأنهم يترجمونها إلى الفرنسية أو إلى الفرنسية أولاً، عن حسن نية أو سوئها، أو هذا عند البعض وذاك عند البعض الآخر، لا نعلم وليس هذا مجال مناقشته.

ولذلك قالوا عن إسم الممثل قريقوري بيك «غريغوري بيك» وهؤلاء أصحاب الغين، أو «جريجوري بيك» وأولئك أصحاب الجيم. والجيم في مصر، والغين في لبنـان وسوريا والدول التي كانت على صلة بفرنسا.

ولو سمع صاحب الاسم نطق اسمه أو قرأه مترجماً إلى العربية لما عرف أنه المعنى!

والحقيقة لغوياً هي أن ما يحوّل من الانقليزية إلى العربية حرف غين هو حرف (G:g) بشرط أن يتبعه حرف (H:h). لكن علاقة الود بين الفرنسيين وحرف الغين المشهورة ربطت الدول العربية ذات العلاقة بفرنسا بعلاقة أخرى مع حرف الغين حتى في وضعه في غير موضعه عربياً، فالصاحب أحضر معه صاحبه أيضاً، وليته يرحل مع صاحبه بعدما رحل.

ثالثاً ـ حرف (ك):

وهذا لا يكتب به عربياً ما ترجم من الانقليزية إلا إذا كان أصل الحرف المترجم (Q:q) «كيو» أو (K) «كي»، أو (C) «سي» في حالات معينة، أي إذا لم تأتِ بعد (C) حروف معينة مثل (E:e) أو (I:i).

ولذا فمن غير المقبول علمًا أو سمعاً أن يقال «هونك كونك» وكلمة «كونك» بالانقليزية تعني صوت الأوزة.

رابعاً ـ حرف (ق):

وهذا وإن كان ليس مطابقاً تماماً، وحسب مختلف لهجات ونبرات العرب إلاَّ أنه الأقرب، وإذا لم يوجد المطابق تمام التطابق فالأقرب هو الأصح والأحق بالأخذ به، وحرف (G) وهو آخر كلمة (Hong) هو حرف

القاف ما لم يأتِ بعده مباشرة حرف (E) الذي يحوله إلى جيم، وما لم يأتِ بعده حرف (H) الذي يحول (G) إلى حرف غين ــ كما جرى إيضاحه.

وهذا ما أحدث اللبس لعدم دراسته والتعمق فيه وإيضاحه وخاصة من قبل الجهات المعنية بالثقافة والعلوم والآداب والتربية في الجامعة العربية حتى أصبح الناس يكتبون الكلمات على نحو ويقرأونها على نحوٍ آخر. ولتداخل اللهجات مع من تأثروا بالثقافتين الانقليزية والفرنسية، ومع سريان التقليد الذي جعل الخطأ شائعاً، ولأن بعض الدول العربية وخاصة جهات التعليم ووسائل الإعلام وبالذات الصحافة لا تبدأ بمبادرة التصويب إلا إذا جاء من الخارج، وتخشى من النقد مع أن التجربة تقول انه في مثل هذه الأحوال يبدأ النقد والاعتراض قوياً ثم يصبح المنتقد أقوى عندما يصحح الخطأ، ويشيع الصواب، ويستغرب مما كان عليه الخطأ من ذيوع وشيوع وهو مجرد خطأ.

والمفروض التقيد بالقاعدة وما عليه الجمهور متفقاً مع الصواب. فكلمة إنقليزي مثلاً، هي: (English) إنقلش بالقاف غير المشبعة، وليست إنجلش «انجليزي» بالجيم، ولا انغلش لتترجم «إنغليزي» بالغين، ولا انكلش لتترجم إلى إنكليزي بالكاف، وإنما هي انقليزي تنطق قافها كما ينطق عرب الجزيرة القاف في الكلمات: قهوة، انقرض، صدق.

وبذا يكون الأقرب للصواب أن يقال:

١ ــ انقليزي.
٢ ــ الانقليزية.
٣ ــ هونق كونق.
٤ ــ «أندر قراوند» تحت الأرض.

وهكذا في بقية الكلمات المماثلة. ومن ينطق كلمة هونق كونق مرة بالجيم ومرة بالغين ومرة بالكاف ومرة بالقاف، سيدرك أن القاف غير

المشبعة هي الأقرب للأصل، والأقرب هو الأصوب، وصواب ضائع خير من خطأ شائع، لأن الصواب إذا أشيع صار شائعاً وأمسى معه الخطأ ضائعاً.

والمهم مع حرصنا على سلامة التعريب أن نحرص على مبدأ التعريب ذاته، فلا نستعمل كلمات أجنبية غريبة الاشتقاق والمعنى، وذلك حماية لنا عن طريق حماية لغتنا الجميلة الغالية التي هي نفس من نفوسنا وجزء من كياننا ورابطة لتماسكنا ولسان لديانتنا. والملاحظ وجود أخطاء شائعة في الترجمة من اللغة العربية إلى الانقليزية أيضاً، ومثال ذلك:

الكلمة العربية	الخطأ	الصواب
مكة	Mecca	Makkah
المدينة	Al-Madina	Al-Madeenah
فاطمة	Fatima	Fatimah
المكتبة	Al Maktaba	Al-Maktabah
القصيم	Al-Kassim	Al-Gasseem
قرآن	Quran	Guran
قرآن	Coran	Guran
قرآن	Koran	«G»
الحوادث	Al-Hawadess	Al-Hawadeth
عكاظ	Okaz	Okadh

لأن الضاد أقرب إلى الظاء من قرب حرف الزاي إلى الظاء. ولعل كون معظم مترجمي أسماء الأماكن والأعلام والكلمات الإسلامية من المسلمين غير العرب أو من المستشرقين هو السبب في أخطاء الترجمة وعدم انتقاء الحروف الأصح.

□ قطوف من حروف:

«لم تعد المرأة المغربية تجنح للانحراف كمظهر للحضارة، ولم تعد ترى في التخلص من قوميتها ودينها وأخلاق أسرتها [الطريق] لتظهر صالحة للعصر».

فاطمة الزهراء المغربية، مجلة المجلة، العدد ١١٠، ١٤٠٢/٥/٢٥.

المرأة تربيِّ نفسها ومجتمعها

المرأة عندها الآن «طباخة على الكهرباء أو الغاز» وأمها كانت توقد «البابور» بالفحم، أو تجمع الحطب للطبخ، أو تجمع «الجلّه» إذا لم تجد حطباً، والمرأة الآن عندها «الصخان» فلا تحتاج إلى الحطب أو الفحم لتحمي الماء للاستحمام وغسل الأواني والملابس، وعندها الغسالة والنشافة فلا تحتاج لغسل الملابس ونشرها بيديها ونقلها من مكان إلى آخر، ومنهن مع ذلك من تغسل أو تكوي بعض ملابس أهل منزلها خارج المنزل، وعندها الآن مكنسة الكهرباء المريحة، وعندها المكيف والمدفأة فلا هي تحتاج لا لمروحة الخوص المتعبة ولا «للوجار»، وعندها الثلاجة فلا تحتاج للطبخ صباحاً ومساء، وعندها السيارة والهاتف والكهرباء، فلا حاجة إلى أن تضع «القاز» يومياً في السراج و«الاتريك» وعندها للأطفال حفائظ لا تحتاج إلى غسل أو أي جهد، وحليب لا يحتاج إلى حلب أو تحضير أو رعاية للأنعام، ولديها معدات كثيرة ووسائل راحة لا تعد.

ومع ذلك فخياطة ملابسها في خارج المنزل فضلاً عن خياطة ملابس أهل بيتها، وزراعة فناء المنزل يقوم بها أجير، ومع هذا وذاك فإن منازلنا الآن تحوي من الخادمات ما لم تحوه من قبل، وما لا يوجد له مثيل لا في باريس ولا لندن ولا طوكيو ولا واشنطن ونيويورك ولا الدول الاسكندنافية

ولا الشرق ولا الغرب، واستقدامهن أخطر وأضر وخاصة غير المسلمات من استقدام سعاة بريد أو عمال نظافة.

ويقال ان المرأة في بلادنا يجب أن تعمل، وهذا صحيح إذ يجب أن تعمل، فمع الرعاية الصحية، وتوفر الخدمات ووسائل الراحة يفترض في المرأة أن تستغني عن عشرات الآلاف من الخادمات في منازلنا اللواتي كدن أن يبلغ عددهن حقل مئات الآلاف أو ربما بلغ.

ووجود الخادمات مثل وجود محلات خياطة الملابس، وكثرة محلات غسل الملابس، ومزارعي أفنية المنازل كلها حجة على أن المرأة في بلادنا مترفة لا ترغب في العمل النافع المنوط بها، والتي هي مسؤولة عنه، وقيامها به يدعم اقتصاد البلد ويحمي مجتمعها، ويقلص من استقدام الأيدي العاملة مع كل ما يقدم معها من المشكلات، ودليل على أن منهن «مسترجلات» لا يعتقدن إلاَّ أن مفهوم العمل لا ينطبق إلا على ما يعمله الرجال.

ومفهوم كثير منهن ومن انساق معهن أو من ساق بعضهن معه مفهوم خاطىء سطحي يعبر عن نقص في الثقافة وعدم إدراك لمعنى التطور والتقدم والمدنية والرقي، ويلازمهن شعور بالتخلف يظهره التقليد المرتجل الذي لا ينظر للمدى البعيد، وما وراء الحاضر، وما وراء الكلمات وما وراء السطور، ومن وراء المرايا الخادعة. لكن منهن من لسن كذلك وأولئك هن حفيدات أسماء وسمية وصفية وعائشة وفاطمة وخولة وأم عمار، وهند وأمهات المؤمنين وبنات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جميعهن.

إن من نسائنا من تنتزع تقديرها واحترامها انتزاعاً لا بالفرض القهري ولا بالمكر، ولكن بجاذبية حسن المسلك، ولا غرابة إن بحث

العزب عن مثل هؤلاء النسوة لتكون منهن شريكة حياته ممن يعتمد عليها كخير سند ودعامة بعد الله وبتوفيقه.

إن من واجب المرأة أن تقوم أولاً بعملها الذي تختص به، فلا تلقيه على كاهل غيرها ممن لا يستطيع أن يقوم به، فإذا أثبتت عملياً أنها قادرة على القيام به وأنها فعلاً أدَّته، أمكن أن ينظر في الاستعانة بالفائض من وقتها فيما يحتاج إليها فيه، أما أن توظف (بكسر الظاء) لكي تتوظف (بفتح الظاء) فذلك ما لا يستساغ إلاَّ في حالات خاصة نادرة، مثل أن تعمل طبيبة نساء. وما قيمة أن يستورد الطبيب طبيباً آخر يقوم بعمله ليقوم هو بأعمال هندسية أو أعمال نجارة مثلاً، مهدراً قدراته الطبية العظيمة الشأن والتي بلاده بأمسّ الحاجة إليها، والمرأة طبيب والرجل مهندس، وتفاحة وبرتقالة أفضل من برتقالتين فقط أو تفاحتين فقط.

* تقول الشاعرة العراقية لميعة عمارة، في برنامج «تلفزيوني» أنها تهوى الطبخ والخياطة فكل منهما في نظرها فن مثل الموسيقى والرسم والشعر.

هل يا ترى فن الطبخ وفن الخياطة في بلادنا الآن في تقدم أم تأخر؟

سؤال موجَّه إلى الفنانات المختصات!

* الصفحات النسائية في بلادنا تتهرب تماماً من معالجة مشكلة خياطة الملابس رغم أنها ظاهرة اجتماعية واقتصادية بارزة وجديرة بالاهتمام، هل يا ترى نسمح للظنون بأن تقول أنه ليس لدى تلك الصفحات ما تقوله سوى الاعتراف بالخطأ والاستمرار فيه ففضلت الصمت!!

كلا، فالمشكلة كما هو معروف إنما تكون في الصمت والاحجام عن معالجة المشكلة.

ويقال إنه في العالم الثالث، تكون الرقابة الإعلامية أشد من غيرها، ويقول آخرون ليست هذه هي الحقيقة كاملة فهيئات التحرير أحياناً تكون أشد من الرقابة الإعلامية، إذ من هيئات التحرير ما لا يتسع أفقها للرأي الآخر فهي تريد من الكاتب أن يكتب ومن القارىء أن يقرأ أفكارها الشخصية هي فقط، أما أن تتيح للرأي الآخر المجال، وتتيح الفرصة وتنتهزها لتفند ما تراه خطأً فذلك ما لا يراه البعض، أو يراه ولا يعمل به وبذلك تفوت على النشء فرص المقارنة والمحاكمة الفعلية وامتحان منطقية الحجج. والواثق من رأيه يسر من الرأي المضاد لأنه سيتيح له تبيان ما يتميز به رأيه، وما يقنع به الناس على أنه الرأي الأفضل، ولا يخشى على رأيه الرفض أو السقوط.

«جريدة الرياض»، العدد ٤٦٤٦، ٢٣/١١/١٤٠٠ هـ، (مع إضافة التعليق الأخير).

□ قطوف من حروف:

قال تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين (٣٣) ولا تستوي الحسنة ولا السيئة إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٣٤) وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ آية ٣٥، سورة فصلت.

□ بالمناسبة:

الأكل في المطاعم، والولائم في المطابخ، وغسل الملابس في المغاسل وحتى «قرص القرصان» يقوم به أخونا العملي اليمني، والخياطة في محلات الخياطة النسوية، وحلب الحليب، وعمل اللبن هذه جميعها كانت أعمالاً نسوية ثم تخلت عنها المرأة ولم تؤخذ منها ليقوم بها الرجال. فما رأي المرأة العاملة التي حسبما ورد في إشراط الساعة ترى العمل في الظهور في مثل وسائل الإعلام المختلفة، ونحمد الله أن من يرى هذا الرأي حتى حينه قلة إن وجدت.

الصدق تحت الدرس

عرّف العلاّمة حسنين محمد مخلوف الصدق بقوله: «الصدق أن تحكي الحقيقة من غير زيادة عليها، ولا نقص منها، تقصد بذلك العدل فيمن تحكي عنه أو العدل لذات الحقيقة حيث لم تشوهها بما ليس منها»[1].

ويقول المرحوم السيد أحمد الهاشمي عن الصدق «وهو وصف يدعو إليه الدين والعقل والمروءة... والاشتهار بالفضائل، فلا مزية أجمل منه، ولا سجية أكمل منه، ولا عطية أشرف منه، ولا سمعة ألطف منه، ولا أثر أنفع منه»[2].

ومن المعروف أنه يوجد بكل فندق مفتاح لكل غرفة خاص بها، كما يوجد لدى المسؤول في الفندق مفتاح عام يفتح أبواب كل الحجرات هو المفتاح الرئيسي أو ما ترجمة اسمه حسب التعبير الانقليزي «سيد المفاتيح».

والصدق كهذا المفتاح العام، لأنه سيد الفضائل ومفتاح أبوابها الذي يمتد إلى كل شأن، فهو يدعو لمكارم الأخلاق جميعها، وينفر من الرذائل صغيرها وكبيرها، مثلما أن خصمه الكذب يدعو للتهاون بالفضائل، ويشجع على المساوىء. فالصدق قرين العفة والنزاهة والإخلاص والشرف والطهارة والأمانة والعدالة والحق والمحبة والثقة والوفاء واحترام الإنسان

وحقوقه، وأما الكذب فقرين الخيانة والغش والخداع والتطفيف والظلم والزنا والسرقة والنميمة والغيبة والتجسس وشهادة الزور والاستهانة بقيمة الإنسان وحقوقه وما إلى ذلك من القبائح.

والإنسان عندما يكون صدوقاً يصعب عليه ارتكاب المعاصي لأن صدقه يمنعه من الاعتراف بها عند أهله وذويه وأصدقائه الأخيار والقاضي والشرطة والمجتمع بأكمله، ولا يمنع الصادق عن الاعتراف إلا تجنب الخطأ أساساً لكيلا يوجد الاعتراف، أما إذا وجد الخطأ واقترف الذنب فلا محيص للصادق عن الاعتراف وما ينطوي عليه. ولذا وتحسباً للعواقب يجد نفسه وقد تجنَّب الزنا والقمار وشهادة الزور والغش والرشوة والظلم والمحاباة والمحسوبية والهوى والسرقة وكل الموبقات والآثام، وتكون أسباب تجنبه لها ازدواجية يقوي بعضها بعضاً مما يزيل ضعفه وتدني نسبة مقاومته وفي الحديث المرشد: «الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس». فإن سألك الناس عنه وعن مبرراته وأنت صدوق، فقد دفعك ذلك إلى إطلاعهم على ما تكره، وليس الحل الأمثل لهذه الصورة أن تكون كذوباً فترتكب بدل المعصية المفردة معاصي مضاعفة، ولكن الحل الأنجى هو الابتعاد عما يصعب الصدق فيه لأنه لا يشرّف.

ومن الناحية النفسية التربوية يعد الصدق علاجاً شعورياً نفسياً لاضطرابات النفس، واختلال الأحاسيس، فالكذوب يعيش في حالة فزع وقلق دائمة حيث يقضي جزءاً من وقته في كيفية صياغة كذبه والتحرز من الهفوات الفاضحة، ويقضي بقية وقته منشغلاً يتوجس انكشاف حقيقته، والاضطراب في الحالتين ملازمة، وبذلك يحرم نفسه من الانشغال بما هو أجدى وأهم، والانصراف بذهنه إلى النافع المفيد ولذا قيل «الصدق أنجى».

والله سبحانه وتعالى وبأفعل التفضيل، قال عن ذاته: ﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾ سورة النساء، آية ٨٧، ﴿وعد الله حقاً ومن أصدق من

الله قيلا﴾ سورة النساء، آية ١٢٢. كما وصف أنبياءه ورسله بالصدق في سياق امتداح أخلاقهم، فقال جلّ وعلا: ﴿واذكر في الكتاب ادريس أنه كان صديقاً نبياً﴾ سورة مريم، آية ٥٦، ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً﴾ سورة مريم، آية ٥٤. ﴿واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقاً نبياً﴾ سورة مريم، آية ٤١، ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا﴾ سورة يوسف، آية ٤٦. والآيات عديدة في هذا الشأن، وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم كان صدوقاً أميناً، لا ينطق عن الهوى وكان على خلق عظيم، وقد وصف خليفته الأول أبا بكر ــ رضي الله عنه ــ بالصديق لصدقه، وهكذا يرتبط ارتفاع المكانة بالصدق.

ولقد وردت كلمة الكذب ومشتقاتها في القرآن الحكيم ما يقرب من مائتين وثمان مرات للنهي عنه والتنديد بأهله وبه، كما وردت كلمة الصدق ومشتقاتها ما يقارب مائة وثلاثين مرة[٣] للدعوة إليه والأمر به. وما النهي عن الكذب إلاَّ دعوة للصدق مثلما أن الأمر بالصدق نهي عن الكذب ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ سورة التوبة، آية ١١٩.

ومن أبرز دعائم البناء التي تشيد المجتمع المتماسك، وتجعله متفاهماً متعاوناً يشد بعضه إزر بعض الصدق حيث به تؤمن العواقب ويقضي على الشكوك وسوء النوايا والغدر وهي أمراض اجتماعية فتاكة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً أي كثير الصدق ومع الصديقين بإذن الله كما بشَّر بذلك البشير النذير عليه الصلاة والسلام.

والصدق يولد المحبة، لأن الصداقة محبة، والصديق من صدَقكَ لا من صدَّقكَ، والصادق كثير الأصدقاء الخلص، أما الكاذب فكثير الأصدقاء الزائفين الشكليين الذين لا يصدقون حتى صدقه بسبب كثرة كذبه.

والصدق أيضاً من مميزات ومقومات المجتمعات الراقية وهو يتلاشى بمقدار يتناسب مع مقدار انحطاط المجتمع وتخلفه، فإن بلغ المجتمع أقصى درجات التخلف بلغ الصدق أقصى درجات التلاشي والانقراض وتتبعه في ذلك بناته وهن كل الصفات الحميدة الملازمة له عادة. والصدق صعب التطبيق والملازمة لدى الكذوب في بداية الأمر وفي حال محاولة التحول من الكذب إليه، لكنه مع التعود يصبح سهلاً، بل يكون ممتعاً ومريحاً لما له من أثر ملموس على أسماع ووجوه ونفسيات السامعين، وإذا ما أصبح الصدق عادة اجتماعية غالبة ومنتشرة تكيفت المثل الاجتماعية الأخرى معه لتأثيره عليها فيساعد ذلك على نشر الفضائل وسهولة الأخذ بالصدق في غياب الرذائل والمهازل.

□ الصدق والتربية العامة:

يتكوّن الصدق كعادة وصفة وخلق لدى النشء عن طريق تأثرهم بالسلوك والممارسة له من قِبَل من حولهم أكثر من تأثرهم بالقراءة في كتاب، أو الاستماع إلى خطبة أو نصيحة، لأن العمل والتطبيق أبلغ من القول وأصدق، وكلاهما مفيدان إذا اتحدا.

ومن أساليب التربية على الصدق منذ نعومة الأظفار تلك القصة المدرسية التي يتذكرها ــ ولا شك ــ الكثيرون، ولعلهم استفادوا منها بعد انتهاء الاختبار المدرسي فيها، والتي ترجمها الغربيون عن العرب معجبين بها وبأهدافها ووقعها، تلك هي قصة الراعي الذي صاح كاذباً مستغيثاً بالأهالي من الذئب، فلما تراكضوا لإغاثته قابلهم بالضحك مازحاً في غير موضع المزاح، فلما جاءه الذئب حقيقة واستغاث صادقاً لم يغثه أحد لأنهم ظنوه مازحاً كالعادة، ففتك به الذئب نتيجة لكذبه. هذه القصة مؤثرة جداً عندما يقترن فيها النصح بتطبيق المنصوح به من قِبَلِ الناصح الرائد القدوة أولاً. ورسول الهدى صلى الله عليه وسلم يقول: «الرائد لا يكذب أهله» مما يدل على ملازمة الصدق لعلو الهمة، وسمو النهج، ونجاح

القيادة. والكاذب لا يكون محترماً وعظيمًا مهما كان مركزه في دنياه، فالناس يقدرون ويجلون الصادق سواء كانوا مثله أو لم يكونوا، وقد يأنسون بكذب الكاذب ولكنهم لا يحترمونه، وفرق بين الاستئناس والتقدير وبون شاسع بين التسلي والإجلال، فشخص التسلية لا يمكن التورط في التعامل معه، والرجل المحترم يبحث عنه كل راغب في التعامل المتبادل المنفعة.

والكذب شبيه بالسرقة، إن لم يكن في حالات مندرجاً تحت حكمها. فالكاذب في نسبة مقالة أو فكرة يعد سارقاً، والكاذب في نسبة تصميم أو عمل إليه سارق أيضاً.

وأكثر ما يذكي نار النميمة والغيبة والفتنة هو الكذب والمبالغة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[1] «تحروا الصدق، وإن رأيتم أن الهلكة فيه، فإن فيه النجاة»[4] وعن معاذ بن جبل ــ رضي الله عنه ــ مرفوعاً: «أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وبذل السلام، وخفض الجناح»[1]، وعن الحسن ــ رضي الله عنه ــ مرفوعاً: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»، وهذا الحديث الشريف يعد مرجعاً نفسياً ذا أهمية بالغة عن مؤثرات الصدق والكذب على التوازن النفسي والاستقرار الوجداني اللازمين لإتقان كل عمل، والحياة حياة طيبة، وقال عمر رضي الله عنه: «لأن يضعني الصدق وقلما يفعل أحب إلي من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل»[1]. وقال علي، كرَّم الله وجهه: «أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب، وشر الندامة ندامة يوم القيامة»[1] هذه الأحاديث البليغة وغيرها مما لم تذكر لكثرتها تدل بوضوح وتوجيه على أهمية الصدق وصدارته

ودوره وتأثيره في كل الأمور، وما اهتمام أبي التربية محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه رضوان الله عليهم بالصدق وهم جميعاً في قمة هرم التربية السليمة، إلاَّ دليل واقعي ملموس وقوي على أن الصدق بلغة الرياضيين قاسم مشترك أعظم لكل المثل التربوية الإنسانية.

وإن من أعظم الخطايا الوعود الكاذبة من اللسان الكذوب المصر على الخطيئة، ولذا توجب على كل فرد عاقل حكيم أن يربي نفسه أولاً ومن حوله من أولاد وأهل وأولاد جيران وأقارب وأصدقاء ومعارف وغيرهم على فضيلة الصدق، وألا يتحرى النتائج عاجلة، لكن المؤكد أن لكل عمل تأثير حتى وإن بدا مرفوضاً أو سلبياً، فإن كان خيراً فخير، وإن شراً فشر سواء جاء الأثر بطيئاً أو خفياً.

وما أضر بمناهج التربية والتعليم في توجيهاتها السليمة وإرشاداتها البنَّاءة إلاَّ مدرس أو إداري أو أب أو أم أو جار أو قريب أو صديق أو غيرهم عندما يناقضون تلك التوجيهات فيدعون للصدق قولاً ويمارسون الكذب فعلاً وتطبيقاً، والفعل يغلب القول، ولسان حالهم كأنه يقول للطفل: إن ما تعلمته في المدرسة ليس للتطبيق في الحياة ولا يصلح له، وإنما هو للاختبارات الفصلية والنهائية، وللخطابة والكتابة فقط. ثم يخلقون بذلك في نفس الطفل تهاوناً بكل المُثُل والقِيَمِ والأخلاقيات التي وجّه إليها، وربّ نظرياً عليها، سواء منها ما لاحظ أن مجتمعه يخالفها باستهتار وتهاون ولا مبالاة، أو ما لم يلاحظه بعد.

ونتيجة لذلك يتوجه بعض المربين بانتقاداتهم لمناهج التعليم السلوكية والنظرية ظانين أنها السبب في ضعف التربية، بينما السبب سوء التطبيق الاجتماعي الذي يجعل التعليم النظري ــ مهما امتاز ــ مجرد حرث في البحر، أو زراعة في أرض سبخة، لم تكن سبخة من قبل لولا مؤثرات التطبيق التي حولتها إلى ذلك، ويتوقف إصلاح التربية على إصلاح التطبيق، ولا يكفي أن يقال انه ليس للتعليم قيمة في مثل هذه الحالة، بل

الصحيح أن التعليم مضر عندما لا يقترن فيه القول بالعمل، وتوجد في ميدانه القدوة الحسنة والأسوة الخيرة، لأن الطفل حينذاك سيتعلم النفاق الاجتماعي والمزايدة الكلامية غير الموثوقة، وكل صفات ومواصفات الانحطاط والانحدار إلى الهاوية السحيقة. وللإنقاذ والتحذير من ذلك، قال عز من قائل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ سورة الصف، آية «٢».

ولذا فالمفهوم الحديث للمدرس هو ألا يكون مجرد معلم قراءة وكتابة وحساب فقط، وإنما يكون موجهاً ومرشداً رائداً ومثلاً أعلى في المدرسة وخارجها، وأن يستفيد من مشاركته في النشاطات اللاصفية لتطبيق ممتاز للنظريات التعليمية والأخلاقية.

وغير المدرس يفترض عليه واجبه الديني والوطني أن يكون معلمًا مربياً ورائداً، في حسن السلوك والتوجيه الاجتماعي لتتناغم النظريات مع التطبيقات والممارسات، ويصبح المسار صحيحاً معافياً، وللإعلام بوسائله رسالة تربوية قد تكون أكثر تأثيراً ومسؤولية من مسؤولية وتأثير التعليم المدرسي.

وفي ميدان الحياة، الصدق توظيف اجتماعي استثماري فالتاجر يحرص على التعامل مع الصادقين ليرتاح ويطمئن على حقوقه وممتلكاته، بل قد يضحي بكثير من ربحه مقابل التعامل مع صدوق يوفر عليه كثيراً من جهده وهواجسه وبذلك يجد أن التعامل بصدق ومع الصادقين أكثر ربحاً للجميع «الباعة والمشترين والوسطاء ــ إن وجدوا ــ» والبلد الذي يتعامل مع الناس بصدق ينمو التعامل التجاري معه، ويكثر عملاؤه «زبائنه» ويحظى بالسمعة العطرة والتقدير وبتصنيفه في مقدمة قوائم الرقي والسمو والرفعة والعلو حقيقة ثابتة لا ادعاء زائفاً.

والرفيق يجد في رفيقه الصدوق سنداً يأمن جانبه ويعتمد عليه،

لذلك يبحث عنه، ويحرص على استمرار صلته به، والصدوق منشود في المصاهرة لأنه موثوق به مأمون إن تزوج أو تزوج منه.

ومن هذه الصور تبدو أهمية النظرية التربوية والتربية التطبيقية معاً في مختلف شؤون الحياة، والتربية الحسنة لا تكون إلاَّ مع الصدق، وفي الحديث الشريف: «يطبع المؤمن على الخصال كلها إلاَّ الخيانة والكذب»، «التاجر الأمين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء»[1].

الصدق والسياسة

في عالم السياسة يبدو لبعض الساسة أن الكذب دهاء والصدق غباء، وليس بسياسي محنك من لا يمارس الكذب، ولذلك يتعمد بعضهم الكذب فلا يصدق ولا يصدق محدثه، ولا يتوقع من محدثه السياسي الآخر إلاَّ أن يكذبه إن كان حقاً سياسياً، ولو حدث أن صدَّقه لاستغرب المتحدث ذلك. ولو تأكد المتحدث والمخاطب على السواء أن المتحدث كاذب بلا شك فإن الدبلوماسية تتطلب من المخاطب أن يقول له: صدقت! وكلا «الدبلوماسيين» كاذبان!. وفي دائرة هذه الفلسفة الدنيوية اتَّسم العالم السياسي بالمراوغة والكذب والمخاتلة وفقدان الثقة إلاَّ من رحم ربك. وأصبح المكر صفة حميدة في نظر الساسة وقاموس السياسة. وأصبح السياسي يقيس قدراته الذكائية والدهائية بمدى قدرته على صياغة الكذب، وسبك التضليل، ودقة اختيار أساليب الاحتيال. ولذلك لا غرابة في أن يصل العالم إلى ما وصل إليه الآن من التفكك، وانعدام الطمأنينة، وبذر الشكوك، وضعف الجوانب الأخلاقية، وتقلص المثل عملياً، على يدي القادة والساسة، والمتحكمين في مقدرات العالم ــ بعد الله ــ وخاصة في الدول «العظمى». ومتى ما انقلبت الآية، فصدق الساسة فإن الأحوال في العالم ستتبدل وتتحول إلى الأفضل، وتنقلب المفاهيم، ويحدث في الكون التغيير المنشود حيث لا يخون الأمين، ويؤتمن الخائن، ويصدق المنافق،

ويحترف الكذب، ويقصد عدم الوفاء بالوعود قصداً لكي يكون السياسي سياسياً محنكاً يعرف متى يصرح ولو كذباً ودجلاً، ويحاكم القتيل ويبرأ القاتل، ويطرد صاحب البيت والأرض، ويحافظ على أمن المجرم السارق.

لكن الذي يبشر بخير، ويسر أن هذه الصورة العالمية ليست موجودة في البلاد الإسلامية التي تطبق بصدق الإسلام في كل جوانبه دون تعطيل أو تبديل أو تحايل أو تطاول. ومتى ما انتقلت أمة الإسلام من كونها نامية إلى مصاف الدول الكبرى المؤثرة، فإن المفاهيم السياسية العالمية للصدق والكذب ستتغير لتكون السياسة شرفاً وصدقاً ومروءة وتفاهماً نزيهاً وإنسانية كما في الإسلام ذاته. قال صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزيراً صادقاً، إن نسي ذكّره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكّره، وإن ذكر لم يعنه».

الصدق والشعر

يندر الصدق لفظاً وربما معنى في الشعر بخلاف القرآن المجيد، الذي ردد كلمة الصدق للترغيب فيه، وكرر ذكر الكذب للترهيب والتنفير منه، ولا غرابة في ندرة الصدق في الشعر، فالله سبحانه وصف الشعراء بأنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، أي أنهم غير صادقين، إلا المستثنين منهم، وأن اتباعهم هم الغاوون «على التغليب» وقد قيل في الشعر «أعذبه أكذبه».

وقد يرد في الشعر ذكر الصدق، ولكن لا يدرى أهو من صدق الحديث فعلاً أم لا، وتبدو أحياناً بعض الدلائل التي ترجح هذا أو ذاك، فصدق العاطفة في بعض الشعر حقيقة، وكذلك صدق الحكمة، ولعل الخيال الشاعري الرحب يجد في الكذب مجالات واسعة ومساحات فسيحة لا حدود لها للانطلاق والاسترسال.

ومن الأبيات التي جاءت كلمة الصدق فيها:

سلامٌ على الدُّنيا إذا لم يكن بها ... صديقٌ صدوقٌ صادق الوعدِ منصفا
(الإمام الشافعي، رحمه الله)

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... في حدِّه الحد بين الجدِّ واللعبِ
(أبو تمام)

في البيت ذي الحسب الرفيع ومن ... أهل التقى والبر والصدق
أشياخ صدق نموا بمعتلج الـ ... ـبطحاء كانوا لقومهم عصما
(عبد الله بن قيس الرقيات)

قالت وقد سلخ ابتسامتها الأسى: ... صدق الذي قال «الحياة غرور»
(إيليا أبو ماضي)

قد قيل ما قيل إن صدقاً وان كذباً ... فما اعتذارك من قول إذا قيلا
(لا أعلم من قائله)

يا لئاما بعهدهم ... لم يقم عذر واثق
كلكم جد آفك ... كذبونا بصادق
أو تنفي وثيقة ... عشرات الوثائق
أين منكم وفاؤنا ... يوم عقد المواثق
(الشاعر القروي يخاطب الغرب)

ومن صدق المعاني أيضاً في الشعر، قول عمر أبو ريشة، يصف الحالة في أزمان الاستعمار:

أمتى كم صنم مجدته ... لم يكن يحمل طهر الصنم
لا يلام الذئب في عدوانه ... إن يك الراعي عدو الغنم

والصدق يختلف كثرة وقلة من غرض شعري إلى آخر، ويبدو أنه يكثر نسبياً في الحكمة، ويقل في المديح والثناء وخصوصاً الذي يصحبه العطاء «أعطه يا غلام ألف دينار»، «أعطه ألف دينار آخر»! وهو المدح الذي لا يراد به وجه الله وإحقاق الحق مع غرض نبيل هادف وليس كشعر حسان بن ثابت ــ رضي الله عنه ــ الهادف إلى نصرة الإسلام وإظهار الحق والاعتزاز بالتمسك به، ولعل أكثر الناس استخفافاً بالممدوح تزلفاً ونفاقاً وأشدهم احتقاراً له هو الشاعر الانتهازي المادي نفسه. ولعل هذا مما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النهي عن المدح والإطراء بقوله: «إذا لقيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب» «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»، «إن أناساً قالوا: يا رسول الله، ويا خيرنا وابن خيرنا، ويا سيدنا وابن سيدنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: السيد الله... لا أريد أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها الله تبارك وتعالى...».

اللهم اجعلنا من الصادقين مع أنفسنا
ومع الآخرين، فإن كذبنا فليكن من
الكذب المباح الذي إن لم ينفع لم يضر

المصادر:
(١) منهاج قويم لتربية الشباب المسلم؛ حسنين محمد مخلوف.
(٢) المفرد العلم في رسم القلم؛ السيد أحمد الهاشمي.
(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم؛ محمد فؤاد عبد الباقي.

* * *

من تشريعات الخدمة المدنية ونظام الموظفين العام الصادرة في صدر الإسلام، والتي لا تزال سارية المفعول، قال صلى الله عليه وسلم: «من استعمل رجلاً من عصابة، وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان

الله ورسوله والمؤمنين» . . . «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً».

الحديثان من كتاب «منهاج الصالحين» لعز الدين بليق، وهو مرجع مهم في العلوم الإدارية فضلاً عن غيرها.

أين آراء تايلر وجيفرسون وكل علماء الإدارة من هذه التشريعات الهادية الإصلاحية إدراكاً وروعة تنظيم وسبقاً.

لكن «عقدة الخواجة» و«بتاع برّا» لا تقر بذلك.

هذه العقدة المستحكمة لا تجعل الإنسان ينسى ذكرها كلما عرضت له.

«جريدة الرياض»، العدد ٤٥٨٣، ٢٧/٨/ ١٤٠٠ هـ.

كلمات يستعملها عصرنا أحياناً في غير موضعها:

تقدمي، رجعي، معتدل، متطرف، متمدن، التطور، مرن، متشدد، السلام.

الدكتوراة... آه...

نشرت صحيفة الرياض حواراً ممتعاً بين دكاترة الصيف والشتاء وشارك معهم من لم يتعرض للطقسين، كما نشرت الجزيرة حواراً ممتعاً أيضاً عن الدكتور السعودي، وأقامت جامعة الرياض ندوة مثيرة مفيدة عن الدكتور السعودي ما له وما عليه أو واجباته ومسؤولياته وحقوقه، ثم أذاع «التلفعيون» كما يسميه الأطباء ندوة شيقة في ١٤٠٠/١٢/١٩ هـ عن الدكتور السعودي أيضاً ما له وما عليه، هذه جميعها أحيت في المجالس الاهتمام بالنقاش حول موضوعها، كما جعلت الكثيرين يواصلون متابعة الاطلاع على ما يكتب عن الموضوع.

وكصورة من صور مناقشات المجالس أنقل فيما يلي ما دار في أحدها مما حضرته، ولم تكن قيود الصحافة أو الندوات العامة تؤثر فيه، وكانت الثقة بين المتناقشين موجودة والمجاملة على حساب الحقيقة مفقودة، وكاتب هذه الأسطر دوره كدور مندوب صحفي غير معتمد.

كان أحد المتناقشين دكتوراً مدافعاً بلا هوادة متلمساً الأعذار والمبررات كلما تهيأت له أو خطرت على باله. وليس من الصعب تصور أو توقع ما كان يرد به دفاعاً عن نفسه وعن الدكتوراة والدكاترة. ولأن لدى الدكاترة مكبرات صوت توصل ما يقولون بيسر وسهولة إلى كل الآذان في مختلف الأحيان فقد نقلت ما قاله الآخر المندفع المتطرف في الهجوم كتطرف

الدكتور في الدفاع، وصدق من قال: «لكل فعل رد فعل يماثله في القوة ويخالفه في الاتجاه»، فلقد كان هجوم صاحبنا رد فعل لما رآه وسمعه عن الدكاترة ومنهم، وكان دفاع صاحبنا الدكتور رد فعل أيضاً لما قاله الأول.

قال صاحبنا:

□ كنا نتوقع ولا زلنا نطمع في أن يكون الدكتور السعودي رائداً في مجال تخصصه وفي مجتمعه يعالج القضايا، ويسهم في حل المشكلات والإشكالات، لكننا وجدناه وقد جعل من نفسه قضية تضاف إلى القضايا الأخرى التي انضمت إلى غيرها في «العيادة».

لقد جعل من نفسه ظاهرة اجتماعية بينما الدكتوراة في العالم المتقدم بأسره ما هي إلاَّ شهادة دراسية عليا تتفاوت مستويات حملتها ومستويات الحاجة إليهم، وليست قضية ولا ظاهرة اجتماعية.

□ الدكتور يتحدث كثيراً عن حقوقه، ويتحدث قليلاً ــ إن تحدث ــ عن واجباته ومسؤولياته، فماذا استفدنا واستفاد معنا من شهادته إن كان هذا مسلكه وتوجيهه لمجتمعه؟!

□ ليس الجميع ولكن عدداً كبيراً من الدكاترة يبحثون أثناء دراساتهم عن:

الأستاذ الأسهل «المرن» (. . .).

والمواد الأسهل، ومنها ما فائدته محدودة ولبعض المجالات معدومة أو ربما نتائجها عكسية.

والتخصص الأسهل.

والقسم الأسهل.

والجامعة أو الكلية الأسهل.

لأن المهم لديهم هو التخرج والحصول على «كرتون» الشهادة، والاتجار بها في مجتمعات تقيم الشهادة للشهادة بصرف النظر عن قدرات

وإنجازات حاملها، ولأن هذه الشهادة كفيلة في حد ذاتها بتغطية مركبات نقص معينة، وتعوض عن شعور الضعف وعقدته.

□ وصف أحدهم الدكتور بأنه يتصور نفسه «سوبرمان» ولولا وجود مبرر لهذا الوصف لما وصف بذلك، فالناس مثلاً لم يقولوا عن حاتم بأنه بخيل.

□ من الدكاترة عدد من القديرين إلى حد بعيد، ولكن ملامح القدرة وجذورها موجودة لديهم قبل حصولهم على الدكتوراة.

□ بعض الأبحاث التي نشرت والكتب التي ألّفت من قبل علماء ليسوا دكاترة تفوق في جودتها وعمقها رسائل كثيرة من رسائل الدكتوراة المنشورة، وما أقل المنشور منها أو من أبحاث ومؤلفات بعدها.

□ ينسى معظم الدكاترة أن الدكتوراة قمة الأخذ، أي تخزين العلم مع صرف الأمة على حامل الدكتوراة لمدة أطول من غيره ولو حتى عن طريق والديه، لكن الحاصل على الدكتوراة يعد في درجة صفر من العطاء عند تخرجه، أي أنه في سفح العطاء وعليه أن يرقى قبل أن يطلب الجزاء، فالعطاء قبل الجزاء، والجزاء على قدر العمل لا على مسمي الشهادة، وقيمة كل امرىء فيما يتقنه ويحسنه لا فيما يحمله من شهادات.

□ إن رائد الدكاترة، وأول واحد فيهم قد منح الدكتوراة من قبل أساتذة لم يحملوا الدكتوراة، فكيف إذا كان الدكتور يرى أنه أعلم من غير الدكاترة كيف قبل أن يقيمه ويقومه ويمنحه الدكتوراه مجموعة ممن ليسوا دكاترة؟!

□ في الدول المتقدمة والمجتمعات الراقية يقيم الشخص فيها بمواهبه واستعداداته وقدراته وإنجازاته، وفي المجتمعات المتخلفة والدول النامية في أول مراحلها يقام وزن كبير للشهادات، وللمظهر دون المخبر، وتقدير المجتمعات المتخلفة للدكتور لمجرد أنه دكتور هو أهم عامل في اتكاله على شهادته، وتكاسله عن العطاء والأداء لأنه لم يبق له ما يود أن يحصل عليه إذا أنتج، ولم يعد الفارق كبيراً أو ملحوظاً بين المثمر والممحل. وفي

المجتمعات الراقية لا يفاخرون بعدد من لديهم من الدكاترة، وليس من الضروري أن تكون المناصب الكبيرة والمسؤوليات واتخاذ القرارات مرتبطة بالشهادات، وإنما بالفكر والقدرة والخبرة وحسن التصرف والعمل والإنجاز والسلوك، بل إن الدول المتقدمة الكبرى تحرص على الثقافة الواسعة الملمة من كل شيء بطرف ولو في فروع متعددة لأمر واحد أكثر من البقاء في ممر واحد ضيق من ممرات المعرفة، ولذلك لا غرابة إذا رأينا رؤساء وكبار قادة أميركا وروسيا وفرنسا واليابان وبريطانيا والدول الاسكندنافية والمانيا والصين وغيرها ليسوا دكاترة، وليس دكاترتها ممن يحرصون على النص أمام أسمائهم بأنهم دكاترة. ولسنا بحاجة إلى أن نقول بأن ذلك ليس بسبب أنه لا يوجد لديهم عدد كاف من الدكاترة لتولي الوزارات والإدارات الكبيرة والمسؤوليات التي تتطلب اتخاذ قرارات!. إن المكان الطبيعي للدكتور هو الجامعة أو مجال تخصصه كفني لا كإداري... أي في المعمل والكلية والمصنع والمزرعة لا في المكتب إلاَّ إذا كان ذلك اختصاصه، ومن يعمل في غير اختصاصه فهو لا يعمل كدكتور وإن أبقى على الصفة، وعض على «الدال» بالنواجذ!

□ كنموذج لأفكار بعض دكاترتنا وتركيزهم على التفكير في أنفسهم لا في مجتمعهم قول أحدهم: لماذا نخرج في المطار مع عامة الناس، ولا تفتح لنا صالات استقبال الضيوف؟! وقول الآخر: إني أركب في الدرجة الثانية في الطائرة، وقد يركب تلميذي في الأولى، ونسي أنه قد يركب في الدرجة الأولى وهو طالب ومدرسُهُ في المرحلة الابتدائية أو المتوسطة أو الثانوية في الدرجة السياحية، فلماذا لا يفكر لمدرسه ومربيه في الابتدائي مثلما يفكر لنفسه إن كان رائداً وموضوعياً منصفاً؟! هذا ما دام يرى أن الدرجتين الأولى والثانية ذات أهمية بالغة تستحق البحث والاهتمام.

□ راتب الدكتور في نظام الموظفين وفي الجامعات أفضل من غيره وله بدلات تفوق بدلات الآخرين، وهو عندما يعطى أربعة آلاف ريال

للأبحاث والوسائل والمراجع ويعطى غيره من المؤهلين ثلاثة آلاف ريال، فإنه لا يلاحظ أن الكتاب الذي يشتريه بأربعة ريالات يشتريه غير الدكتور بأربعة ريالات أيضاً وليس بثلاثة.

وإذا منح أرضاً، فهي ٤٠ × ٤٠ = ١٦٠٠م٢ [صحح لي أحد الأخوة الخطأ في المساحة، فقال انها: ٥٠ × ٥٠ = ٢٥٠٠ م٢]، وليس غيره مثله ولا أفضل منه، وهو يدرس في الجامعة من الحصص ما يقارب ١٢ حصة على الأكثر، وغالب حصصه «ست أو سبع»! أسبوعياً، وبعد عامه الأول، غالباً ما يكرر نفسه ومحاضراته، بينما مدرس المرحلة الابتدائية يدرس ٢٨ حصة أسبوعياً وهو يتعامل مع أطفال وعقليات ليست في مستواه، وليس درسه محاضرة تطبع وتوزع ويستفيد منها في الأعوام القادمة بتوفير الوقت والجهد.

والمفروض أن يأخذ كل منهما نصاب الآخر لتتوازن واجبات الدكتور مع حقوقه خاصة وأن مدرس الابتدائي يتحمل أعباء التعليم مضافاً إليها أعباء التربية وتقويم السلوك.

□ أعجبني قول الدكتور عبد الله التركي في الندوة التلفزيونية ما معناه أنه ليس من الطبيعي أن نقارن بين دخل الدكتور والتاجر ولا بين عملهما على أساس المساواة أو تفضيل الدكتور في مقدار الدخل نظراً لأن هذه مادية وعمل الدكتور ومقومات إنتاجه وتقييمه ليست مادية، ومسؤولياته وتقديره ليسا بالمادة مرتبطين، ومهما أعطى الدكتور فلن يصل العطاء إلى حد دخل بعض التجار الذين دخل بعضهم يفوق دخل أكبر رجالات الدولة مراكزاً ومسؤوليات، ولكن المطلوب من الدكتور ألا يجعل المادة ذات قيمة أو أساس من أسس التقييم، ومن أولى من الدكتور بالعمل على ذلك إن كان فكره ومبادؤه في مستوى شهادته.

□ اعتبر البعض هذا مثالية وكأنهم يرون المثالية أمراً صعب التنفيذ، وأنها

نوع من الوهم واللاواقعية، ونسوا أن المثالية بالقدر المستطاع مبدأ إسلامي، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم مثالي، وأن المثالية سهلة على من هم قريبون منها هي هدف لهم صعبة على الماديين فقط أو ذوي النظرة المادية الشخصية، أو ليس الجدير بالاستنكار المادية لا المثالية، وإن لم نكن مثاليين فعلينا ألا نعاديها، وعلينا أن ندعو إليها لعلها تنتشر ولو لم تتكامل، يقول الشاعر:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

□ إذا لم يتعلق الدكتور بالمادة ويدعها تحاصره وتستعبده فإن دخله أفضل من دخل معظم الموظفين، ويكفيه دخله للتفرغ لأداء التزاماته والقيام بواجباته ومنها توجيه المجتمع إلى إصلاح عيوبه وإنكار الذات لصالح الجميع «وأحب الناس إلى الله أنفعهم للناس» والتاريخ خلد العلماء والأدباء والقادة المخلصين ولم يخلّد من الأثرياء إلّا قاروناً بسوء الذكر.

□ يرى بعض الدكاترة أن الفجوة في الشهادة العلمية بينه وبين حامل «الماجستير أو البكالوريوس» أكبر من الفجوة في الشهادة العلمية بين حامل «الماجستير والروضة»، وهذا الاستعلاء الزائف إذا وجد ــ يكون دليل ضحالة صاحبه أكثر مما يدل على العمق، وبعد النظر، والواقعية، وسلامة التقييم البعيد عن مؤثرات «الأنا» والكبرياء الصادق.

إن العلم النافع والكبرياء لا يجتمعان، والعالم الحقيقي المستفيد من علمه يعرف بالتواضع.

□ الدكتور المختص هو الأفضل لحقل تخصصه علمياً لا خبرة إلّا بعد أن يثبتها، لكن غيره من مستوى البكالوريوس أو ما حولها أفضل للتخصصات الأخرى، نظراً لأن مجال الخبرة لديهم أرحب، ولأن في أذهانهم متسعاً للاستيعاب المنوّع الذي لم يتركز على نقطة واحدة معينة ولديهم من التأهيل ما يتجاوز درجة الكفاية، مثلهم في ذلك مثل من درب على كتابة حرفي

الراء والزاي أوالعين والغين فأجاد كتابتها بإتقان. وآخر درب على كتابة جميع الحروف، فإن الأول أفضل عندما تراد كتابة الحرفين فقط والثاني أفضل عندما تراد كتابة حروف أكثر.

□ في بعض الدول المتقدمة يفضل حامل البكالوريوس مع الخبرة على حامل الشهادة العليا الذي لا يعمل غالباً مثلما يعمل غيره بنفسه وقدراته وابتكاراته وتواضعه أيضاً.

□ الدكتور كلمة تعني «العالم البارز»، وغريب أن يقول الإنسان عن نفسه أنه عالم بارز عن طريق وضع حرف (د) أمام اسمه أو وضع الكلمة كلها خشية اللبس أو السقوط! ومن دكاترتنا من يعرف نفسه بقوله: أنا الدكتور فلان الفلاني، ومنهم من كتب على لوحة باب منزله «الدكتور فلان»، وما أزالها بعضهم إلّا لأن الناس أقلقوه بدق جرس الباب معتقدين أنه دكتور طب!.

إننا يمكن أن نقول عن الرافعي أو العقاد الكاتب العبقري أو العملاق، وأن نصف طه حسين بأنه عميد الأدب العربي، وأن أحمد شوقي أمير الشعراء، وأن حمد الجاسر أستاذ الجيل أو علامة الجزيرة، وأن نقول الشاعر الكبير وصفاً لحمزة شحاته أو محمد حسن فقي أو ابن خميس أو القرشي أو حسين سرحان.

لكن لا أتصور أي عاقل صادق العلم يكتب ذلك عن نفسه حتى وإن كتب عنه الآخرون، فيكف يقول إنسان عن نفسه: العالم البارز فلان الفلاني»، وهذا معنى دكتور حسبما يفهم من القاموس ومن سبب التسمية، ثم لماذا لا يقال: حامل الماجستير أو البكالوريوس فلان الفلاني؟!!

□ من الدكاترة من ينطبق عليه قولهم: «است في الماء وأنف في السماء» على لا شيء. وليته تأمل في الآية الحكيمة: ﴿إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ ولعل على مجتمعه بعض التبعة في ذلك.

وهؤلاء ــ مع الأسف ــ أساءوا إلى العلم كما أساءوا إلى زملائهم الدكاترة الآخرين الذين لا ينكر أنهم جديرون بالتقدير.

وما هذه النقطة وما سبقها وما سيلحقها من نقاط تبين ملاحظات إلاَّ أشبه بالملابس المفصلة، فمن جاءت على مقاسه فلا يلومن إلا نفسه، ومن لم تأتِ على مقاسه فهو ليس بمعنى بها وما خيطت من أجله، وان كثر عدد من تناسبهم الملابس، أو وجد بعضهم أو أحدهم أو معظمهم أن كل الملابس توافق مقاساته فلا ذنب للخيّاط بل انه أحسن في دقة القياس والتفصيل وتحديد صفة الواقع.

□ ومن الدكاترة من زيّن الدكتوراة فحرصت عليه هي، ولم يحرص على ربط اسمه بها، ومنهم من يراها تزينه، وليس بشيء لولاها فتمسك بها إلى حد الغضب إن دعي باسمه مجرداً، وهو يراها أهم من شخصه واسمه ولقبه. وتحضرني بالمناسبة قصة ذلك الذي تحدث مع آخر، قائلاً له: أنت مدير عام وتلبس «كندرة شراع»؟! فرد عليه المدير العام قائلاً: وماذا في ذلك؟ إنها نظيفة ومريحة، فقال الأول: أنا لو كنت في مكانك ما لبست إلاَّ إيطالية ماركة كذا، فقال صاحب «الكندرة الشراع» مازحاً: لا ألومك «وش أنت لولا كندرتك؟!».

وبعض الناس يعتبر الدكتوراة إيطالية تستر على الوجه، ولو مجرد مسمى، وخاصة في مجتمع تؤثر فيه الشكليات والأمور السطحية والعناوين الأخّاذة.

□ وقصة تقول إن فلاحاً وزوجته حاولا السيطرة على بقرتهما فلم يفلحا، فلما قدم ابنهما، قال أحدهما للآخر: لماذا نتعب أنفسنا وولدنا دكتور في العلم يعرف كل شيء، واقتنع الولد بأنه يعرف كل شيء أو صعب عليه تصويب ذلك، فأشار على والده بأن يركب على ظهر البقرة، ثم ربط رجلي والده تحت بطنها، ولما حاولت الأم أن تحلب البقرة رفستها وقطعت الحبل

الذي ربطت به وهربت بالوالد إلى خارج المزرعة، فقابله أحدهم وسأله: ما بالك يا فلان على ظهر البقرة وهي تركض بك؟! إلى أين أنت ذاهب؟! فردَّ الوالد بقوله: لست أدري، ولا أحد يدري إلى أين الذهاب سوى ثلاثة فقط، الله سبحانه لأنه علاّم الغيوب، ثم البقرة بإذن الله لأنها الهاربة بي، وابني يعلم أيضاً لأنه دكتور!

□ المفروض أن يبقى كل دكتور فترة طويلة نسبياً كمرؤوس ليكتسب خبرة، وليجرب عمل المرؤوسين، ويعرف واقع أعمالهم ونفسياتهم وردود الفعل لديهم، لا أن يكون رئيساً، وهو في الحقيقة يعمل بتوجيه «سكرتيره» ولو في أيامه الأولى.

□ في الجامعات العالمية التي تقطن في بلدان بها أعداد هائلة من الدكاترة يوجد مدرسون لا يحملون شهادات الدكتوراه، ومنهم من يرأسون أقساماً مهمة وأكثر مرؤوسيهم دكاترة ومن ذلك جامعة «أو إس يو» (O.S.U.) وهي من العشر الأوائل في جامعات أميركا وفي غيرها من الجامعات الشهيرة يوجد ما يشبه هذه الحالة.

أما في العالم الثالث «النامي» فمن لا يحمل الدكتوراه يحكم عليه بالتوقف قبل النقطة الأدنى في سلم الدكاترة حتى ولو كان قديراً موهوباً ابتكارياً عبقرياً يفوق أكثرهم فكراً ومؤلفات وإنجازات وقدرة على الحديث والحوار والكتابة والخطابة والبحث والعمل والادارة.

□ الدكتور أو بعض الدكاترة يعتقدون أنهم حصلوا على أعلى مؤهل والواقع أن أعلى مؤهل بعد الدكتوراه هو الأبحاث والاختراعات والاكتشافات والمؤلفات، ولذلك فالدكتور البحاثة يعتبر أعلى تأهيلاً من دكتور لا أبحاث له.

□ يقول الشيخ محمد بن عرفة عميد كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود في اللقاء «التلفزيوني» المشار إليه ما معناه: إن الدكاترة أدوا

الواجب تعليمياً، ولكنهم لم يؤدوه اجتماعياً، ومفهوم هذا أنهم عـزلوا أنفسهم عن المجتمع، ولم يخالطوه ويداخلوه بإيجابية، وبعضهم بسوء ظن يفسر ذلك بأنه خشية اكتشاف حقيقة مستويات بعضهم التي يمدّ لها أبو حنيفة رجله، وبعضهم يرى ذلك نتيجة لتقدير الدكتور بإسراف حتى بلغ به الغرور مبلغه.

□ أديب أو عالم لا شك أنه من أجود العلماء والأدباء وأقدرهم أسلوباً ومنطقاً ولغـة يستشهد بأدباء يثني عليهم وهم لا وجود لهم في الميدان، أو وجودهم محدود جداً، إذا عرفنا أن وجود الأديب يكون بالمؤلفات والمقالات والقصائد والخطابة، وما استشهاده بمن لا وجود لهم، أو لهم وجود لا يحس إلاَّ لأنه هو يعاني من عقد المنصب والدكتوراه واللغة الأجنبية حيث أن أكثر من اختارهم هم ممن تتوفر فيهم الثلاث المفقودة عنده، رغم أنه في نظري يفوقهم أو يفوق أكثرهم علمًا وأدباً، ودليلي في هذه المفاضلة هو أن من له إنتاج غزير جيد يفوق بلا شك من لا إنتاج له، أو له إنتاج محدود لم يصل حد إثارة الإعجاب والاستشهاد به، اللهم إلاَّ إذا كان هدفه حثهم وتشجيعهم كدكاترة أدب وعلم ولغة، وإلاَّ فإنه إنما يعكس صورة من صور معاناة مجتمعه من عقدة الغلو في مفهوم «الدكترة».

□ من الدكاترة من له «جهده» في الحصول على الدكتوراه بواسطة «إرضاء» أساتذته عنه، ومما عرف في أميركا وأوروبا ودول أخرى أن مكـاتب كالمكاتب العقارية تعمل على بيع رسائل الماجستير والدكتوراه لمن يرغب، ولا يكشف حملة هذه الشهادات أي إشارة في شكل الشهادة، ولكن ميدان العمل واختبار الخبرة العملية والعلمية، والمستوى العام لحامل الشهادة هي التي تكشف حقيقة مستوى الشهادة وما إذا كانت ممنوحة عن جدارة أو غير جدارة. ولهذا وُجِدَ انتقالُ بعض الدكاترة من مجالات اختصاصهم العلمي إلى مجالات أخرى ساترة.

□ يشغل بعض الدكاترة أذهانهم بالبحث عن مبررات ومجالات هروب من حقائق الواقع الملموس فمنهم من يقول: إن المستويات التعليمية تدنت في الجامعات بعد تخرجنا! ومنهم من يقول: إن من ينتقد بعض الدكاترة على حقيقة مستوياتهم وواقعهم ونتائج نزولهم ميدان العمل إنما غرضه شخصي غير موضوعي، أما إذا انتقد كل شيء آخر ما عدا الدكاترة فهو في الغالب موضوعي ومنطقي وفاهم وعاقل ومدرك ووو... الخ، أي أن كل نقد قابل لحسن الظن فيه إلا نقد «الدكترة»! أحكام متعجلة ومستوى فكري يعبر عن نفسه بغلبة العاطفة عليه.

□ في بعض دول العالم الثالث قد يفرق بين الدكتور وغير الدكتور في السكن الجامعي، فيعطى الدكتور وأسرته ثلاث غرف نوم، وغير الدكتور وأسرته غرفتين، لكن ذلك رغم تمييز الدكتور لم يجعله يشعر بأنه أخذ حقوقه وأكثر من حقوقه بل تمادى في المطالبة بأكثر مع أن المفروض أن يكون الأساس في التوزيع عدد الأطفال بصرف النظر عن مؤهل رب الأسرة لأن الدين الإسلامي يقول عن الأولاد بعد بلوغهم العاشرة «وفرقوا بينهم في المضاجع»، ولم يقل وفرقوا بين أولاد الدكاترة فقط في المضاجع!

□ الدكتور الذي يعمل في ميدان غير ميدان اختصاصه كأنه يقول صراحة أنه لم يستفد من اختصاصه كثيراً، لذا لم يتمسك بالعمل في مجاله، والمفروض أن يعتذر لعله يقبل اعتذاره. وعذره منطقياً مقبول عندما يعتذر عن العمل في مجال غير مجال تخصصه الذي استحوذ على كل اهتمامات أيام وسنوات دراسته.

□ من الدكاترة من قضوا مدة طويلة في دراسة الدكتوراه، وهذا بلا شك مفيد إذا اقترن بالحرص، لكن غيرهم قضى نفس الفترة في دراسة عملية تطبيقية ميدانية اكتسبوا خلالها شهادات خبرة محلية ــ وهي الأهم ــ وأدوا لبلادهم ما يستحق التقدير، وهي خبرة يفتقر إليها بعض الدكاترة خاصة في أول حياتهم العملية، وكلمة بعض هنا تعني الأكثرية منهم.

□ للدكتور المدرس بعد عمل سنوات إجازة تسمى تفرغاً مدتها سنة، وهي غير الإجازة الصيفية السنوية، ولا يحصل عليها سواه.

□ من الدكاترة من أجادوا إلى حد ما أو إلى حد بعيد لغة أجنبية، لكن كثيرين منهم ــ مع الأسف ــ لا يجيدون لغة بلدهم العربية الفصحى، وهي اللغة الأم والأهم، لذا ليت هؤلاء يستدركون فيلتحقون بمعاهد تعليم اللغة العربية للأجانب بدلاً من إلقاء اللائمة على اللغة العربية لتبرئة أنفسهم.

□ ما قيمة العلم إذا لم يعلّم أولاً حسن الخلق وكريم الطباع، ومع الأسف أن بعض الدكاترة لا يتورع عن أن يسير أو يتصدر المجلس أو مائدة الطعام قبل والده أو أخيه الأكبر أو من هم أكبر منه سناً، وقيمنا تقول على لسان أبي التربية صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لا يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا» إلاَّ إذا اعتبر الدكتور تقدمه على والده أو عمه أو خاله من باب «رحمة الصغير»!

كمراسل غير معتمد نقلت كلام صاحبنا المتطرف أو المتحمس عن الدكتوراه والدكاترة. وأتوقع أن يدرك القرَّاء رد زميله الدكتور المتطرف في الدفاع عنهم، والمطالبة بحقوقهم، فقد سمع القارىء وقرأ الكثير من ذلك، ولكني أختم هذا النقل كمعتدل أو محايد أو محاول للاعتدال بأن أقول: إن كانت هذه السلبيات موجودة فهي لا تعم جميع الدكاترة، وإن كانت الإيجابيات التي خالف بها الدكتور صاحبنا موجودة، فهي ليست أيضاً عامة. إذْ الدكاترة بشر يخطئون ويصيبون كما يخطىء غيرهم ويصيب، فإن كان فيهم المتعالي «كجرة فول فارغة» ففيهم المتواضع الحكيم المتزن الذي يعد موسوعة أو مكتبة متنقلة وإن كان فيهم الخامل أو المتكاسل، ففيهم الجاد والعامل، وإن كان منهم سلبي أو مادي، فمنهم إيجابي ومثالي، ومن الإنصاف أن نقول بأن فيهم رواداً عرفوا للريادة حقها فصاروا أهلاً

للدكتوراة، وأهلاً للإكبار ولعلهم ليسوا بقلة حتى لا يقال: الشاذ لا حكم له.

لكن بقي من نقلي للصورة استكمالها ما أمكن بهذا التساؤل: هل دافع صاحبنا المتطرف قول الحقيقة كما يراها، وتصوير الواقع وأنه لا ذنب له فيما أورد، والذنب ذنب من أوجد ذلك الواقع وهم الدكاترة ومجتمعهم، وأنه يمكن أن يوصف بالتطرف إذا كان مجاوزاً الحقيقة فقط؟ أم أن دافع صاحبنا الغيرة والحقد والحسد وحب التحطيم والتشويه والتهويل أي أن الدافع شخصي؟ أم أنه يود أن يشحذ همم الدكاترة ويزيد من فاعلياتهم، ويحضهم على إظهار ما يخالف صوره عنهم فلا يركنون إلى الشهادات «ويكبرون الوسادة» بعد الحصول عليها، ولا يتجهون للمادة كهدف لأن الأموال لا تستدعي من الدكتور أن يفني زهرة شبابه في الدراسة لكي يحصل على الأموال، وحتى لو كانت هدف دراسته ــ لا قدر الله ــ فالمال يأتي بلا شهادات، والعمل التجاري يمكن أن يقوم به الدكتور وغير الدكتور، لكن التاجر لا يستطيع القيام بعمل المؤهلين تأهيلاً عالياً في مثل التدريس والأعمال الفنية الاختصاصية، ثم إن الأموال ليست في حد ذاتها ذات قيمة اجتماعية وأخلاقية وإنسانية ووطنية في الحصول عليها وجمعها وإنما قيمتها فيما يستفاد منها فيه أي في كيفية إنفاقها.

ولربما يكون هدف صاحبنا جدلياً لتمضية الوقت والإسهام في القيل والقال، أو أنه مازح مشاكس لصديقه الدكتور، أو أنه يهدف للإصلاح ويود أن يرى مزيداً من التواضع وإنكار الذات وإدراك عيوب النفس، والاهتمام بالواجبات أكثر من الحقوق، وأن فرصة الحديث في مجلس أصحاب أبعده عن المجاملة والقيود، وساعده على الصراحة والوضوح، أو أنه أراد التفريق بين العامل والخامل والحابل والنابل، فتقدير الدكتور لمجرد أنه يحمل الدكتوراه ساوى بين العامل والخامل، فلا العامل شجع ولا الخامل استنهض. وفي ذلك إجحاف بحق الدكتور العامل مما يدعو إلى

الدعوة إلى ما يميزه ويعطيه على قدر عطائه، ولعله أراد بهذا أن يقول لمجتمعه: إن علينا أن نضع كل شخص، دكتوراً كان أو غير دكتور في موضعه الطبيعي، ومكانته الملائمة له ولقدراته على أساس ما يقدمه من عمل وإنتاج لا ما يحصل عليه من شهادات، وأن نرى كل شخص في حجمه، وأن نلبسه الثوب الذي لا يكبره فيجرجره مختالاً كالطاووس، ويكنس به الأرض، وقد يعرقل خطواته فيتعثر ويسقط، كما يجب في نفس الوقت ألا نلبسه ثوباً يقصر عن ركبته وهي من العورة، والذنب ذنب من ألبسه.

أي لا إفراط ولا تفريط، ولا تطرف في مدح ولا قدح بل كل جزاء على قدر العمل، فإذا تغيرت نظرة المجتمع إلى الدكاترة، ونظرة الدكاترة إلى شهاداتهم وأعمالهم ومجتمعهم ودورهم نحوه، وصار التقدير من نصيب من ينجز بإخلاص ونجاح، والثناء على الأداء الفعلي لا على مجرد اعتقاد القدرة على ذلك، فإن النتيجة المتوخاة هي صلاح المجتمع وانتقال واسع الخطى إلى الأمام نحو الأفضل والمؤمل.

كل هذه الأمور ممتزجة أو بعضها أو أحدها محتمل أن تكون هدف صاحبنا، لكن منظار سوء الظن أو حسنه لدى القارىء والدارس المحلل سيكون له دوره وتأثيره في انتقاء الأكثر توقعاً، والأقرب إلى الحقيقة مما عناه صاحبنا المتحدث عن مفهومه وانطباعاته.

والله أعلم بذات الصدور، وهو سبحانه من وراء القصد.

* * *

فضيلة الشيخ عبد الله الخليفي لا تمل قراءته في صلاة المغرب بالحرم الشريف، ويود السامع ألا يسكت، وكأنه قد أوتي مزماراً من مزامير داود عليه السلام ــ ما شاء الله تبارك الله ــ لكن قراءته في الإذاعة ليست كذلك، وهذا صدق ابن مع والده، ولو أن شيخنا قرأ كما يقرأ في صلاة

المغرب فلربما جذب إلى قراءته الكثيرين ممن لا يستمعون إلى القرآن الحكيم، ولربما صار سبباً في هدايتهم وتفكرهم في بعض ما يتلى. وليس المهم عدد الآيات بقدر ما تهم كيفية التلاوة المعينة على التأمل والتدبر. وأعتقد أنه سيتيح فرصة لبائعي الأشرطة وللباحثين عن هدايا قيمة من مكة المكرمة، ولربما بطريق غير مباشر أو مباشر انطبق عليه بسبب جاذبية تلاوته قوله صلى الله عليه وسلم: «لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم».

«جريدة الرياض»، العدد ٤٦٧٩، ٩/١/١٤٠١ هـ.

□ قطوف من حروف:

عندما يكون الفرق شاسعاً بين القول والعمل، بين العقيدة والممارسة، فليس ذلك دليل نفاق فقط، بل علامة تخلف حضاري وإنساني مروع، وأن الهاوية سحيقة، والقاع بعيد [والسير في عكس الاتجاه السليم].

مجلة «المبتعث»، العدد العاشر، ربيع الثاني، ١٤٠٢ هـ.

التربيـــة
مسؤولية مَنْ؟

يكثر التركيز في وسائل الإعلام في الآونة الأخيرة على دور الآباء والأمهات في تعليم أولادهم، ولقد بلغ درجة التراجع عنها أفضل من التمادي إلى ما وراءها، ولا شك أن للوالدين دوراً مهمًا في تعليم وتربية أولادهما، وأعتقد أنه سلوكي تربوي أكثر من كونه تعليمياً تلقينياً مدرسياً، لكن إلقاء الحمل أو جزء كبير منه على كاهل الوالدين سيجعل المدرسين المربين بمنأى عن المسؤولية لتهيئة المبرر لهم، أو على الأقل سيشعرون بمن يشاركهم المسؤولية فينبت التراخي ويردون على اللوم والعتاب بلوم وعتاب مثله، ويجري تقاذف المسؤولية، ويضيع تحديد ولّي أمرها كما يضيع تعيين موقعها.

والحقيقة أن المدرسة هي المسؤولة الأولى عن التعليم وما يتعلق به، وعندما كان هذا هو الحاصل بالنسبة للجيل السابق حيث تحملت المدرسة كامل المسؤولية، وقالت: أنا لها واستعدَّت وكافحت من أجلها أثمرت النتائج نجاحاً وتوفيقاً ومستويات علمية وتربوية فائقة. والمستحسن الآن أن يدرس الطالب في أول نهاره المناهج الصفية ثم بعد تناول وجبة الغداء يمارس النشاطات اللاصفية، والتي يحسن ألاّ تسمى «اللامنهجية» وهي التطبيقية للعلم والتربية والترويح. وأهم معلم للنشء التربية السلوكية هو القدوة الحسنة الرائدة. فإذا عاد الطالب إلى منزله مساء فليس

من الضروري أن يعود محمّلاً بالواجبات المنزلية المرهقة، والتي أحياناً لا تكون موزعة على أيام الأسبوع في تنسيق متوازن، فهو يرجع إلى منزله بعد أداء الواجبات المدرسية مثقلاً بما يجب أن يؤديه وهو أحياناً لم يفهمه وربما لا يفهمه من بمنزله، والوالدان لهما اختصاصهما وعملهما الشاغل، أما المدرس والمدرسة فاختصاصهما وعملهما الشاغل هما التلميذ والتلميذة وهما عندما يعودان للمنزل مساء فإنما ليقضيان بقية الوقت مع الأسرة لمشاهدة برامج التلفعيون سوياً وللعشاء معاً وللمشاركة في أعمال المنزل وخاصة من قبل البنت في تربيتها على تعلم الخياطة والكنس والغسل والكوي وغير ذلك مما يدربها للمستقبل ويقوي جسمها ويوطن نفسها على حقيقة الحياة، والابن في شراء الأغراض من السوق وممارسة ولو جزئية لحرفة يساعد بها الأسرة وعمل في ما يحتاج إلى إصلاح بالمنزل نجارة أو حدادة أو سباكة أو كهرباء. ثم مسامرة قصيرة قبل النوم، وقراءة حرة بعيدة عن الفروض، وقدوة طيبة في الصلاة والمعاملة والعبادات والعلاقات الإنسانية، والعمل لمستقبل الأسرة وتوجيه إلى ذلك.

ولقد تذبذب الأولاد وأصبحوا في متاهة بين والدين يطلبان من المدرسة مزيداً من العناية والرعاية والدراية ــ وهذا حق وواجب ــ وبين مدرس يطالب تلاميذه بأن يدرسهم آباؤهم في المنزل وكأن على الآباء والأمهات أن يلتحقوا بمعاهد المعلمين وكليات التربية جميعهم ليستطيعوا التعامل بنجاح مع واجبات المدرسين المفروضة على أولادهم لتؤدى في المنازل.

وفي الرياضيات المعاصرة وهي المادة التي يحسن المحافظة عليها مهما بلغت الانتقادات مبلغها فيها من حيث أن الطلبة لم يعرفوها لأسباب ليست في الرياضيات المعاصرة ذاتها لأنها إيضاح لمفاهيم الأرقام والعمليات الحسابية ومسابقات وألغاز لرياضة الذهن وإدراك المدلولات ومعرفة المعنى، وإن كان من الانتقادات ما هو صائب كضخامة الكتب وكثافة المنهج

والتطبيق ابتداء في أكثر من صف دراسي، وعدم الإعداد الكافي للمدرسين، وإعطاء عمليات ومسائل متقدمة على سن الطالب الذهني.

الرياضيات المعاصرة هذه لم يعالج ضعف الطالب فيها بدروس إضافة للطالب نفسه، أو دروس إضافية للمدرسين من قبل الموجهين ومعاهد وكليات التربية، وبتركيز تام على ذلك فقط، وإنما عولجت بفكرة دروس مسائية لأولياء أمور الطلبة أيضاً ليشاركوا في مسؤولية النتائج وأولياء أمور الطلبة ليسوا مدرسين ولا متفرغين، ولهذا السبب وجدت المدارس لتقوم بما لا يستطيعون القيام به. فإن وجدت دروس إضافة للطلبة وأخرى للمدرسين ولم تكف لمتطلبات إدراك الرياضيات المعاصرة فالمفروض الاستفادة من وقت الدروس المسائية لأولياء أمور الطلبة في مزيد من تدريب الطلبة والمدرسين. وماذا لو أعدت إدارات التعليم دروساً مجانية «بعد العصر» خارج وقت الدوام للطلبة الضعفاء، منذ أول العام الدراسي سواء في مادة الرياضيات المعاصرة أو غيرها.

إننا إذا ركزنا على دور الوالدين أضعفنا من جهود المدرسة ومسؤوليات المدرسين. وكثير من المدارس في الخارج يخرج تلاميذها بعد دراسة يوم كامل من المدرسة مخلفين فيها كل كتبهم ووسائل تعليمهم لأن الباقي من الوقت إنما هو للمتعة والراحة والاستعداد بنشاط لليوم التالي، والحياة الاجتماعية، والنشاطات المنزلية الأخرى، والقراءة الحرة، والنوم لكيلا يمل الطالب، ويكره المدرسة، ويكثر التسرب، ويصبح الطالب والطالبة في حاجة إلى من يخدمهما.

إذا تقلص دور المدرس والمدرسة ضعف الطالب وضاع، ومثله لما كثر النقد للمجامع اللغوية العربية والسخرية منها وربما بتخطيط من أعداء اللغة العربية ضعفت المجامع وتلاشى دورها في التعريب ومثل ذلك أيضاً إذا قلصنا دور هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالانتقاد في المجالس دون ذكر المحاسن وسبل الإصلاح أضعفنا دورها في تربية المجتمع

مع أنه دور إصلاحي لازم، فإذا ضعفت التربية في المدرسة، وساء السلوك في الشارع فهل من الطبيعي والإنصاف أن نلقي اللائمة على المنزل؟ ألم يكن شعور المدرسة في السابق بأنها المسؤولة عن التعليم هو الذي جعلها تخرج طلاباً أجود في القراءة والكتابة والرياضيات لأن معظم أولياء أمور الطلبة أميون غير مشاركين في مسؤولية المدرسة التعليمية؟... وإذا حملنا الآن المنزل تبعة التعليم والتربية فما هو دور المدرسة؟ وما دور المصلح الاجتماعي؟ ومتى سيتفرغ المنزل لشؤون أخرى اقتصادية واجتماعية إذا شغلته مسؤولياته التعليمية والتربوية المبرمجة «الواجبات المنزلية والمراجعات للاختبارات» عن كل الأمور الحياتية الأخرى، وهل كثرة الواجبات المنزلية جعلت طالب اليوم أحسن خطّاً، وأكثر تحصيلاً، وأجود لغة؟!.

إني أرجو أن نقول للمدرس إنك المسؤول مسؤولية كاملة عن تعليم الطفل، وأن نقول للإدارة إنك مسؤولة عن توفير مستلزمات مسؤولية المدرس، وأن نقول: لا تثقلوا كاهل المنزل بتحميله مسؤولياتكم لتتخلوا عنها أو عن بعضها، فالطفل أمانة في عنق المعلم، والعلماء ورثة الأنبياء، وهم القدوة ولهم الريادة، ولن يكافأ معلم مخلص بأي ثمن مادي اللهم إلّا بالثواب من الله سبحانه وتعالى إذا رجاه، والتقدير من الناس، والحمد لله الذي وفّر لبلادنا إمكانيات لم يتوفر لكثير من البلدان مثلها مما يجعل المدرس لا يعيش مفتقراً إلى مستلزمات أداء واجبه فيؤثر ذلك على مستوى عمله وآماله وطموحاته التربوية.

* * *

لكي ينجح نظام اليوم الكامل، ويحسن تطبيق المناهج، ويرتفع مستوى الطلبة في مختلف المواد والأنشطة، وتحل مشكلة الرياضيات المعاصرة، بأن يسهل فهمها وتفهيمها والمران عليها، ولكي يجد المدرس والمدرسة من الوقت المنزلي ما يمكنهما من أداء واجباتهما الأسرية، ولكي يعود المدرسون المتسربون إلى حقل التعليم بصورة تزيد عن الحاجة فيتم الانتقاء

والمفاضلة، ولكي تتمكن المدرسة من أداء كل واجباتها، وتزيد عليها بنشاطات مثمرة تكمل رسالتها، لكي يتم كل ذلك وترتفع درجات تقدير الطلاب وتقييم المدرسين يحسن أن يتم ما يلي:

(أ) خفض نصاب المدرس إلى ٢٠ حصة أسبوعياً على الأكثر.

(ب) خفض عدد تلاميذ الصف إلى ١٥ تلميذاً، أو على الأكثر إلى ٢٠ تلميذاً، والتجربة ولو في مدارس محدودة العدد في المدن ستبين الفروق في النتائج.

* * *

برنامج «لمن الكأس» يحسن ألّا يقدم فقرة عن اللغة الانقليزية لأنها وسيلة وليست هدفاً، وهي فيما وصلت إليه الآن لم تعد وسيلة ولا هدفاً، وإنما صارت خطراً على لغتنا الجميلة وانتمائنا وحتى ديانتنا، فلقد صرنا صغاراً وكباراً نسعى إلى معرفتها وإتقانها أكثر من سعينا لمعرفة معاني كثير من آيات القرآن الحكيم مع أنه دستورنا وأدبنا وحياتنا، وأصبح ثمن إجادتنا للانقليزية ضعفنا في اللغة العربية.

ثم الموسيقى الغربية المستعملة كمقدمة للبرنامج هل تدل على أن الإبداع العربي مفقود، أم أن من مستلزمات النجاح أن تكون الموسيقى غربية «بتاع برا». إن التغريب تأخر لا تطور، واعتراف بالإفلاس العربي وهو اعتراف خاطىء، وليتنا نقف من الأمور «الخواجاتية» كموقفها منا.

* * *

مما قاله حافظ ابراهيم ــ رحمه الله ــ على لسان اللغة العربية:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي
وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رمـوني بعقم في الشباب وليتني
عقمت فلم أجزع لقول عداتي

ولـدت ولـمـا لـم أجـد لـعـرائـسـي
رجـالاً وأكـفـاء وأدت بـنـاتـي
وسـعـت كـتـاب الله لـفـظاً وغـايـةً
ومـا ضـقـت عـن آي بـه وعـظات
فـكيـف أضيـق اليـوم عـن وصف آلـة
وتـنـسـيـق أسـمـاء لـمـخـتـرعـات
أنـا البحـر في أحشـائـه الـدرّ كـامن
فهـل سألـوا الغـواص عن صـدفـاتي
أرى لـرجـال الـغـرب عـزّاً ومـنـعـة
وكـم عـز أقـوام بـعـز لـغـات
أتـوا أهـلهم بـالـمـعـجـزات تـفـنـنـاً
فـيـا لـيـتـكـم تـأتـون بـالـكـلـمـات
أرى كـل يـوم بـالـجـرائـد مـزلقـاً
مـن القـبـر يـدنـيـني بـغـيـر مـمـات

يا ترى هل حافظ ابراهيم يعيش بيننا اليوم حتى قال قصيدته هذه؟!
أم أنه لو كان يعيش معنا لما اكتفى بما قال، ولقال أكثر وأكثر منه؟!.

* * *

□ المقاول متعاون:

المتعاقد أو المقاول الذي يعمل مع الآلة والجماد، ويتعامل هـو وشركته معنا لهذا الشأن لا بأس ــ مع الإصرار ــ من تسميته بالمتعاقد أو المقاول إن كان لا بد من ذلك ــ ولا أحبذه ــ أما من تعاقد معنا لعمل إنساني وتعامل مع الإنسان فإن العقد معنوياً ليس الذي يربطنا به ويربطه بنا وإنما التعاون والعلاقات الإنسانية والضمير الحي هي الرقيب والرابطة،

لذلك يحسن أن نسمي الطبيب والمعلم وأمثالهما بـ «متعاون» بدلاً من «مقاول» أو «متعاقد»، وحقيقة أنه يعمل معنا بالتعاقد أو المقاولة، لكن ليس من الضروري أن يسمى بذلك بل يحسن أن يسمى باسم لا يوحي بأن الرابطة بيننا وبينه المادة وإنما التعاون والعلاقة الإنسانية والاجتماعية، ولا ضير في ذلك من الناحية القانونية لأنه في حالة الخلاف معه لا يرجع إلى مايسمى، وإنما يرجع إلى نص العقد بصرف النظر عما أطلق عليه من صفة بل ان صفة التعاون ستحرجه أكثر عندما يخالف مؤداها في نظر طرف العقد الآخر، وبعض الأخوة القانونيين تقيدهم دراساتهم القانونية الحرفية ويقيدون أنفسهم بتصورات ومبررات تجعلهم يتجاوزون المصلحة ويفوتون المنافع بقيد «قانوني» متوهم ضعيف الحجة والأثر، وإلاّ فهل من المعقول أن يتأثر العقد كله أو بعض بنوده والعلاقة المالية والإدارية والقانونية بمجرد أن يسمى المتعاقد متعاوناً للحث على مفهوم التعاون ولتعريضه لوخز الضمير عندما يخالف مسماه، ولإحراجه إذا لم يؤد ما عليه بإخلاص وتعاضد وتكاتف. إن الحاجة إلى لغوي في معظم الأحيان أكثر من الحاجة إلى قانوني، وكلمة متعاون أرطب وأرق، وأطيب وقعاً في النفس، وهي تحوي الحث على خلق حسن، ومبدأ كريم، وواجب تتسع حدوده بالتشجيع وكأننا نقول للمقاول إنك مطالب بالتعاون لبناء إنسان البلد وبناء كيانه، وما أصعب أن يقال عنه: إن هذا المتعاون غير متعاون مثل أن يقال عن المراقب: إن هذا المراقب لا يراقب. ولم يمنع قانونياً أن يسمى المراقب مراقباً وهو موظف.

والتعاون المطلوب منه إشعار غير مباشر له بما يجب عليه وهو إشعار ملازم له، وإذا كنا نقول عن المدرس السعودي «المدرس الوطني» فما أقل من أن نصف المدرس المتعاقد أو الطبيب بـ «المتعاون» لنعوضه عن صفة الوطني بصفة أخرى مشجعة على التجاوب والتساعد وبذل الجهد لأحسن الأداء.

هذه فكرة أهديها للوزارات المختصة كوزارات التعليم والصحة ورئاسة تعليم البنات وديوان الخدمة المدنية لعلها تلقى القبول وقبل القبول لعلها تلقى الدراسة، وهي فكرة لم تصدر مني وإنما نقلتها عن أحد البلدان العربية الأقصى مغربية. ولولا ظهور محاسنها لهم لما استمروا في الأخذ بها، ولقد سمعت من المتعاونين من يثني على تسميتهم بذلك. وما أجمل اللطف في التعامل مع من يتعامل معنا ويحتاجنا مادياً ونحتاجه فنياً، ومن ذلك انتقاء صفة طيبة نخلعها عليه، وليس فيها علينا ضرر ولا خسارة والمختصون بعد الله وبإذنه أعلم.

* * *

يقول الشاعر:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

* * *

منذ حوالي ثلاثين عاماً دار في صحفنا نقاش عن هل خير الكلام ما قل ودل؟ أم خير الكلام ما زاد وأفاد؟ أما ما لا يفيد فلا خلاف عليه، فهل يعود النقاش عن خير الكلام في زمن الكلام؟!

«جريدة الرياض»، العدد ٤٦٩١، ٢٣/١/١٤٠١ هـ.

☐ مقتطفات:

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ نص رائع من روائع الدستور.

(سورة المائدة، آية ٨)

والسلام عليكم.

قريباً، سيصدر الكتاب الثاني للمؤلف

علي محمد العيسى

الرأي ما ترون

عن

التربية والمجتمع

٢

في طريقه للنشر، الكتاب الثالث للمؤلف

علي محمد العيسى

إلى من يقرأ

عن
التربية والمجتمع
٣

• الرقم التسلسلي يكتب على العين في ملفات:
PDF

ما استطعت = PDF 31

الرأي ما تروه = PDF 32

العقلية الإسلامية وفكرة المولد PDF 33

قبيلة آدم = PDF 34

إلى من يقرأ عن التربية والمجتمع = PDF 35

كلام في زمن عن التربية والمجتمع = PDF 36

الشعر والشعور = PDF 37

تعلو المدارك بقارب / شعر = PDF 38

صورة تروى = PDF 39

حوار مع الأفكار = PDF 40

القراءة أو الإنصات للأموات في الصلاة = PDF 41

صباح بمكة قولة، محاورة مع قضايا معاصرة = PDF 42

التمثيل تمثيل، فلماذا التمثيل؟ = PDF 43

نكتة.. حول أسماء شركات الطيران = PDF 44

حديث الصمت / شعر = PDF 45

ليت تدري = PDF 46

الإبداع.. شائع أم ضائع؟ = PDF 47

ليت شعري / شعر = PDF 48

تأمل مما قلت = PDF 49

من أين وإلى أين / عن اللغة العربية = PDF 50

كتب للمؤلف / علي العيسى

" ما قرأ منه تصفح "

١- ما استطعت / عن التربية والمجتمع .
٢- الرأي ماترون / عن التربية والمجتمع .
٣- العقلية الإسلامية وفكرة المولد .
٤- قبيلة آدم .عن القبلية والزواج من الخارج.
٥- إلى من يقرأ / عن التربية والمجتمع .
٦- كلام في زمنه / عن التربية والمجتمع.
٧- الشعر والشعور/ مسكون بالتسطيح في تكوين الاستبطان .
٨- تعلو التلال بقارب / شعر.
٩- صلاة تنهى / تربية اجتماعية .
١٠- حوار مع الأفكار.
١١- القراءة والإنصات للمأموم في الصلاة .
١٢- مما يمكن قوله / محاورة مع قضايا معاصرة .
١٣- التمثيل تمثيل ، فلماذا التمثيل ؟
١٤- مفاهمة حول أسهم شركات المساهمة .
١٥- حديث الصمت / شعر.
١٦- ليت نثري .
١٧- الإبداع . . شاع أم ضاع.
١٨- ليت شعري / شعر.
١٩- قليل مما قل/ عن التربية والمجتمع .
٢٠- الموقف من الربا يحدد نوعية المجتمع .

كتب مسودتها جاهزة للطباعة

٢١- من أين و إلى أين ؟ محاورة عن مناهج اللغة العربية.
٢٢- قراءة و رؤية / دراسة لرسائل متبادلة بين مفكرين من العرب والغرب.
٢٣- في الدائرة و خارجها / محاولات لمعالجة آلام التمزق والتفرق.
٢٤- أي إسلام نعنيه/ملخصات ميسرة لجوانب الإسلام، لاستبعاد ما يدعيه للإساءة إليه جهلاً أوقصداً.
٢٥- شعر من الأعماق .
٢٦- المرأة قميص عثمان ..وغيره من القمصان.
٢٧- مشاعر شاعرة (شعر)